The Islamic University of Gaza
Deanship of Research & Graduat Studies
Faculty of OsouI Eddin
Master of Correcting Creed



الجامعـــــــة الإســـلاميـة بغـــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــة أصـــــول الـــدين
ماجستير العقيدة والمذاهب المعاصرة

موقف محمود أبو رية من قضايا العقيدة

Mahmoud Abu Raya position
On issues of Islamic faith

إعداد الباحث

علاء أحمد عبد الرحيم السحار

إشراف

الأستاذ الدكتور/

خالد حسين عبد الرحيم حمدان

قدم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين في الجامعة الإسلامية بغزة

ديسمبر/2021م – جمادى الأولى/1443هـ

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

موقف محمود أبو رية من قضايا العقيدة

Mahmoud Abu Raya position On issues of Islamic faith

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	علاء أحمد السحار	اسم الطالب:
Signature:	علاء السحار	التوقيع:
Date:	2022/1/30م	التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
Islamic University of Gaza
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم ج س غ/35/
Ref.

التاريخ 30/01/2022م
Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **علاء احمد عبد الرحيم السحار** لنيل درجة الماجستير في كلية **أصول الدين**/ قسم **العقيدة الإسلامية** وموضوعها:

موقف محمود أبو رية من قضايا العقيدة

The opion of Mahmoud Abo Raya from Aqeda issues

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم **الاحد 26 جمادي الثانية 1443**هـ الموافق **2022/01/30**م الساعة **العاشرة صباحا، في قاعة مؤتمرات مبنى القدس** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. خالد حسين حمدان	مشرفا ورئيسا	....
د. عماد الدين عبدالله الشنطي	مناقشا داخليا	....
د. إبراهيم محمد عبده	مناقشا خارجيا	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية أصول الدين/قسم العقيدة الإسلامية**.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. يوسف ابراهيم الجيش



ص.ب 108 الرمال غزة فلسطين P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: +970 (8) 264 4400 هاتف Fax: +970 (8) 264 4800 فاكس
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps Postal code: P854-2061 الرمز البريدي

ملخص الرسالة

يُعتبر أبو رية من أصحاب المدرسة العقلية الحديثة المتأثرة بالغرب، وهو امتداد حقيقي لأفكار المستشرقين الذين يشككون في السنة النبوية، ورواتها، ويتهمون الصحابة في عدالتهم، وكتبه امتلأت بالكيد والطعن والتجريح، فكتاب أضواء على السنة المحمدية، تجاوز فيه كل الحدود، حد الموضوعية، وحد الأدب مع الصحابة، وحد الانصاف في تناول مسائل العلم، فشكك في هذا الكتاب في السنة القولية، وتجرأ على أبي هريرة وطعن في دينه وأمانته، وقلل من شأن الصحاح، وبالغ في ذم الدولة الأموية، وذم المقلدين في الأصول والفروع، وانتقد طريقة تناول الحديث عند الفقهاء، ورجح عدم وجود شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي.

وكذلك كتابه (أبو هريرة شيخ المضيرة) كتاباً يفتقد للمصداقية وللمنهجية العلمية، فقد تهجم أبو رية على أبي هريرة رضي الله عنه تهجماً مثيراً للتعجب.

وفي كتابه (دين الله واحد) تناول أبو رية جوانب عقدية مهمة، وله فيها آراء خطيرة، فبدأ كتابه بالتأسيس لفكرة توحيد الأديان، وجواز الترحم على موتى النصارى وأهل الكتاب، ثم أكد على أن أصول كل الديانات هي ثلاثة أصول(الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح)، وأكد على أن النصارى واليهود ليسوا كفاراً وإنما هم أهل كتاب، وأن المعنى الحقيقي للإسلام هو الاستسلام لأمر الله، ثم ساق تحقيقاً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معاملة أهل الكتاب معاملة حسنة، وأكثر من النقل عن الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في دعوتهما للتقارب بين الأديان، وأتى ببعض آيات القرآن وأولها بتأويله الخاص، وتكلم عن جمعية التقريب بين الأديان وامتدحها، وهو يقصد بذلك أنه سيأتي يوم يكون أصحاب الديانات كلهم في وحدة دينية واحدة لا فرق بينهم، ويطرحون لغة التكفير لبعضهم، وتنتهي الكراهية بينهم.

Abstract

Abu Reiah is considered one of the modern mental school influenced by the West, and it is a real extension of the ideas of orientalists who doubt the Prophetic Sunnah and its narrators, and accuse the Companions of their fairness, Also his books are filled with maliciousness, slander and defamation. Politness with the Companions, and fairness boundary in dealing with issues of science, so he doubted this book in the anecdotal Sunnah, dared Abu Huraira and challenge his religion and his honesty, and underestimated the authenticity, and exaggerated in slandering the Umayyad state, and slandered imitators in the origins and branches. Moreover,he criticized the way the hadith is dealt with when Jurists, and suggested that the character of the jew Abdullah bin Saba' no longer existed , as well as his book (Abu Huraira Sheikh Al-Mudhaira) a book that lacks credibility and scientific methodology. It contains dangerous opinions, so his book began by establishing the idea of uniting religions, and the permissibility of mercy for the dead of Christians and the People of the Book, then he emphasized that the origins of all religions are three principles (belief in Allah and the Last Day and good deeds), and he stressed that Christians and Jews are not infidels, but they are People of the Book, and that the true meaning of Islam is surrender to the command of Allah, then he cited an investigation of Sheikh al-Islam Ibn Taymiyyah, may God have mercy on him, in treating the People of the Book in a good treatment, and more than quoting from Sheikh Jamal al-Din al-Afghani and Muhammad Abduh in their call for rapprochement between religions, and he brought some verses of the Qur'an, the first of which is its interpretation. Special, spoke about rounding association between religions and praised, and then seal the verse called "the religion of the future," a) those who believe, those who follow the Alsabion and Christians who believe in Allah and the Last day and work righteousness there is no fear, nor shall they grieve (, which meant that he would one day be the owners All religions are in one religious unit, there is no difference between them, and they offer the language of blasphemy to each other, and the hatred between them ends.

قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧﴾

[البقرة: 257]

الإهـــــداء

إلى سر سعادتي في هذه الحياة، والديّ العزيزين حفظهما الله من كل سوء

إلى زوجتي الغالية الصابرة التي ساعدتني في هذا البحث وأعانتني في طريق العلم

إلى أبنائي أحبائي

إلى إخوتي وأخواتي

إلى جامعتي العريقة الجامعة الإسلامية

إلى أساتذتي ومشايخي الكرام

إلى فلسطين الحبيبة

إلى أرواح الشهداء جميعاً رحمهم الله

وعلى وجه الخصوص إلى روح عمي أبي إسماعيل وابن عمي إسلام رحمهما الله

إليكم جميعا أهدى هذا البحث وأسأل الله القبول

شكر وتقدير

أشكر الله العظيم الذي منّ عليّ بإتمام هذا البحث المتواضع، القائل سبحانه: ﴿**وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم**﴾ (إبراهيم:7)، وأسأله سبحانه القبول، ثم أتقدم بالشكر الجزيل والاعتراف بالجميل لمشرفي فضيلة الأستاذ الدكتور: خالد حمدان "حفظه الله" الذي أشرف على هذا البحث وأثراه بآرائه السديدة وتوجيهاته المفيدة، وعلمه الوافر وخلقه الرفيع العالي، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذيّ الجليلين، عضوي لجنة المناقشة:

فضيلة الدكتور: عماد الدين الشنطي "حفظه الله" **(مناقشاً داخلياً).**

وفضيلة الدكتور: إبراهيم عبده "حفظه الله" **(مناقشاً خارجياً).**

لتقبلهما مناقشة رسالتي، وإثرائها بآرائهما الحكيمة، وتوجيهاتهما المجيدة، فجزاهما الله خير الجزاء.

وأشكر كل الشكر أساتذتي ومشايخي في الجامعة الإسلامية في كلية أصول الدين على ما أفادونا وعلمونا، بارك الله فيهم وفي علمهم.

وأخيراً أشكر والدي الكريمين وزوجتي وأخوتي وأخواتي وأقاربي وأصدقائي، وكل من ساعدني في هذا البحث.

الباحث: علاء أحمد السحار.

قائمة المحتويات

مقـــدمـــة

إن الحمد لله سبحانه وتعالى، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسولهﷺ، قال تعالى: **﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾** [إبراهيم : 27].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله سبحانه وتعالى، وخير الهدي هدي محمدﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النار.

إن الناظر إلي الدين الإسلامي يرى أنه يمتاز بعقيدة فطرية سليمة راسخة قوية، استطاعت أن تغير نظام الجاهلية المظلم برمته، أفكاره، وقوانينه، وأنظمته، إلى مجتمع يحمل عقيدة قوية.

ومع وضوح العقيدة الإسلامية في أصولها، ورسوخ أركانها في قلوب المؤمنين، وبيان القرآن والسنة لمفرداتها وعلومها الغيبية، إلا أن العصور والأزمان شهدت مدارس شتى في تناولها وتدريسها للعقيدة الإسلامية، منها مدارس حافظت على الأصول، وأخرى ابتعدت قليلاً أو كثيرًا، فكان من أصحاب المدرسة العقلية القديمة المعتزلة الذين أعطوا للعقل مساحة كبيرة وجعلوه مُنشئًا وحاكماً، ومنهم أصحاب المدرسة العقلية الحديثة التي نادت بتدخل العقل في القبول والرد للأحاديث النبوية، وخاصة أحاديث العقائد؛ لأن كثيرًا منها أحاديث آحاد، أو لأن العقل لا يتصورها، أو لا يتعاطى مع وضعها في هذا الوصف، فحكموا عليها بالرفض، كما إن كثيرًا من أرباب هذه المدرسة متحررون من التمذهب؛ فكانوا أحيانًا يوافقون المعتزلة في جانب، ويخالفونهم في جوانب، وأحيانًا يقتربون من الشيعة في بعض الأفكار، وأحيانًا يبتعدون، ومواقف يتفقون فيها مع السلف، وأخرى يخالفونهم فيها، فكانوا مذبذبين بين عقولهم وتصوراتهم القاصرة للنصوص والأحكام والعقائد وبين ما ثبت وصعب إلغاؤه، وإن العلم باتساعه يقبل الأخذ والرد، والتصور والحكم؛ لكن بغير خروج عن الأصول الأصيلة، والطرق العلمية المعهودة.

فكان من نماذج هذه المدرسة العقلية الحديثة التي تسمى أحيانًا (بالتحرريين) أو (التنويريين) أو (العقلانيين) أو (المجددين) أو (الإصلاحيين)، محمود أبو رية المصري، الذي وضح أسس ومنهج وطريقة من نادوا بتناول السنة النبوية بطريقة جديدة في القبول والرد، وكان له حكم على أحاديث العقائد ومنها حديث المعراج، وكذلك حادثة شق صدر النبيﷺ كما

كان له جرأة كبيرة في حديثه عن أصحاب رسول الله منهم أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأبو هريرة رضي الله عنه ، وكذلك موقفه من النصارى والترحم على أمواتهم وشمول رحمة الله لهم.

من هنا جاء هذا البحث والذي أسميته "موقف محمود أبو رية من قضايا العقيدة"، والذي سيتناول فيه الباحث منهجه العقدي، منتقداً وراداً على ما خالف فيه أهل السنة من معتقدات، بكل موضوعية وحيادية، وأسال الله العلي القدير أن يوفقني في ذلك، ويتقبل مني، هذا العمل صدقةً جارية، فلقد قال نبينا ﷺ : «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»[1] ، وأسال الله أن يلهمنا السداد والصواب والخير والمنفعة للمسلمين.

هيكل البحث:

وقد اشتمل على: أهداف البحث، أهمية البحث، مشكلة البحث، حدود البحث، منهج البحث، طريقة البحث، الدراسات السابقة، خطة البحث، أهم المصادر والمراجع.

أولاً: أهداف البحث:

تتمثل أهداف البحث فيما يلي:

1- التعرف على حقيقة المدرسة العقلية الحديثة حق المعرفة من خلال بيان طرق وأساليب التحريف في كتبهم، والفساد في عقائدهم.

2- إبراز دراسة المناهج المختلفة للرد على أصحاب المذاهب المختلفة بالأسلوب العلمي الصحيح.

3- فتح آفاق جديدة أمام الدارسين وطلبة العلم الشرعي، وذلك من خلال كشف رجال المدرسة العقلية الحديثة.

4- إثراء المكتبة الإسلامية ببحث علمي جديد يكون له فائدة عملية في واقع المسلمين وحياتهم إثراءً نوعياً لا عددياً.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (ج1225/3)، حديث رقم:1631.

ثانياً: أهمية البحث:

تتمثل أهمية البحث فيما يلي:

1- بيان منهج أحد أعلام المدرسة العقلية الحديثة في واقع المسلمين، وبيان العقيدة الواجب اتباعها، والتحذير من مؤلفاته وما فيها من سموم لا سيما أنها بين أيدي الناس.

2- المساهمة في التصدي للأفكار التي من شأنها أن تخل بأصول العقيدة الإسلامية.

3- بيان جوانب القرب والبعد لأهل هذه المدرسة عن منهج أهل السنة، وتبيين مواطن التشابه والتقارب مع الفرق الأخرى كالمعتزلة والشيعة.

4-تسليط الضوء على المنهج التفصيلي لأبي رية، مبينًا عقيدته وفكره والرد على ما خالف فيه جماهير أهل السنة.

ثالثاً: مشكلة البحث:

انحراف محمود أبو رية عن منهج السلف في قضايا عقدية عديدة، فقد كان له آراء ومواقف بعيدة عن الرأي الصائب، هذا ولم أجد رسالة علمية أو كتاباً متكاملاً يبين منهج أبي رية، وخطورة بعض ما يطرح والرد عليه، فتشجعت لتناول هذا الموضوع تبيينًا لمنهجه، ووصفه، والإسهام في الذب عن الطرق الصحيحة في تناول وشرح وتدريس العقيدة.

رابعاً: حدود البحث:

1- الحد الزمني: 1889م-1970م.

2- الحد المكاني: جمهورية مصر العربية.

3- الحد الموضوعي: موقف محمود أبو رية من قضايا العقيدة.

4- الحد البشري: المفكر المصري محمود أبو رية.

خامساً: منهج البحث:

سأعتمد في دراستي:

1- المنهج الاستقرائي، حيث سيقوم الباحث بتتبع آراء أبي رية المخالفة للعقيدة الإسلامية من خلال مؤلفاته.

2- المنهج الوصفي التحليلي، و سيبين الباحث مدى مخالفات وموافقات أبي رية لمنهج أهل السنة والجماعة.

3- المنهج النقدي، يقوم الباحث بمناقشة الآراء ونقدها علمياً بما يتناسب مع طريقة ومنهج أهل السنة.

سادساً: طريقة البحث:

سأعتمد الطريقة المتبعة في التوثيق للإحالة للمصادر وهي نفس الطريقة التي اعتمدتها عمادة البحث العلمي في جامعتنا.

1- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن، وموضوعة بين قوسين.

2- تخريج الأحاديث من مظانها في كتب الصحاح والسنن والمسانيد، وبيان حكم العلماء عليها إن كانت في غير الصحيحين أو أحدهما.

3- توثيق المعلومات في الحاشية بالشكل التالي: ذكر اسم المؤلف (اسم عائلة المؤلف أو اسم الشهرة)، ثم اسم الكتاب، ثم الجزء والصفحة.

4- وضع فهرس الموضوعات.

سابعاً: الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث -في حدود ما بحث- من تناول منهج أبي رية برسالةٍ علمية منهجية تتناول معتقداته وأفكاره، والكتب الموجودة في الرد كانت تتناول الرد على كتبه، أو بعض الموضوعات في كتبه، كما أن هناك بعض المقالات التي تعرضت لأفكاره ومعتقداته، ولما لم يجد الباحث دراسة علمية مستوفية لمنهجه تشجع أن يكتب بحث متكامل في منهجه من خلال كتبه، خاصةً وأن المادة العلمية التي سيرجع إليها الباحث بشكل أساسي موجودة ومطبوعة وهي كتب أبي رية (أضواء على السنة المحمدية، أبو هريرة شيخ المضيرة، دين الله واحد).

ومن بعض الكتب والدروس والمقالات المكتوبة التي تناولت الرد على كتبه:

1- الأنوار الكاشفة على ما في أضواء على السنة النبوية من الزلل والتضليل والمجازفة لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، طبع بالمطبعة السلفية، عالم الكتب لبنان-بيروت، وقد تكلم في الرد على محمود أبو رية بأسلوب عقلي وعلمي مؤصل ومفيد.

2- البرهان في تبرئة أبي هريرة رضي الله عنه من البهتان لعبد الله بن عبد العزيز بن علي الناصر، تكلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، اسمه وكنيته وحفظه وقوة ذاكرته، والرد على الشبهات التي أثارها أهل البدع والمخالفين حول أبي هريرة رضي الله عنه، وعرض الأحاديث التي استشكلها أبو رية والجواب عليها.

3- دروس مكتوبة في الرد على أضواء على السنة النبوية للأستاذ للدكتور أحمد عبده عوض، من موقعه على الانترنت للدفاع عن السنة النبوية والرد على أبي رية من خلال كتابه أضواء على السنة المحمدية.

4- وهناك مقالات مبثوثة على الانترنت تناولت جوانب من حياته، وأفكاره، وتقاربه مع الشيعة، والرد عليه.

والجديد في الدراسة الإضافة النوعية للرد على المدرسة العقلية الحديثة من الناحية العقدية من خلال بيان موقف محمود أبو رية من قضايا العقيدة، من خلال أكثر كتبه ومؤلفاته.

ثامنًا: خطة البحث:

هذا وقد جاءت خطة هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة – تشتمل على أهم النتائج والتوصيات –، وفيما يلي بيان ذلك.

التمهيد

التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة وأهم روادها وسماتها ومصادرها

وفيه:

أولاً: تعريف المدرسة العقلية الحديثة.

ثانياً: نشأة المدرسة العقلية الحديثة.

ثالثاً: أبرز رجال المدرسة العقلية الحديثة.

رابعاً: سمات المدرسة العقلية الحديثة.

خامساً: مصادر التلقي عند المدرسة العقلية الحديثة.

الفصل الأول

التعريف بمحمود أبو رية وأفكاره وأبرز مؤلفاته

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بمحمود أبو رية.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مولد محمود أبو رية ونشأته وحياته.

أولاً: الحالة الاجتماعية.

ثانياً: الحالة السياسية.

ثالثاً: الحالة الثقافية.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه ووفاته.

المطلب الثالث: مؤلفاته.

المبحث الثاني: دراسته والمؤثرات التي أثرت على أفكاره وعلاقاته.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: دراسته وتأثره بأصحاب المدرسة العقلية الحديثة.

المطلب الثاني: علاقته بالأزهر.

المطلب الثالث: علاقته بالصوفية.

المطلب الرابع: علاقته بالأثرية وانتقاده لهم.

المطلب الخامس: علاقته بالشيعة الاثنا عشرية.

المبحث الثالث: التعريف بأهم كتبه وتقييمها.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كتاب أضواء على السنة المحمدية وتقييمه.

المطلب الثاني: كتاب أبي هريرة شيخ المضيرة وتقييمه.

المطلب الثالث: كتاب دين الله واحد وتقييمه.

الفصل الثاني

منهج محمود أبو رية في تقرير العقيدة

وفيه عشرة مباحث:

المبحث الأول: تقديم العقل على النقل.

المبحث الثاني: التشكيك في صحة نقل السنة.

المبحث الثالث: الدعوة إلى التحرر وعدم التمذهب.

المبحث الرابع: موقفه من الاستدلال بالإسرائيليات.

المبحث الخامس: موقفه من المستشرقين واحترامهم.

المبحث السادس: إبرازه لجوانب سلبية من التاريخ الإسلامي.

المبحث السابع: الطعن في عدالة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثامن: الدعوة إلى التقارب بين الأديان.

المبحث التاسع: الاستدلال بكتب أهل الكتاب.

المبحث العاشر: عدم تكفير أهل الكتاب.

الفصل الثالث

موقف محمود أبو رية من قضايا عقدية مهمة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: موقف محمود أبو رية من قضايا عقدية واردة في القرآن الكريم.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: مفهومه للإسلام.

المطلب الثاني: مفهومه للإيمان.

المطلب الثالث: مفهومه للإنعام والهداية.

المطلب الرابع: موقفه من وحدة الأديان.

المبحث الثاني: موقف محمود أبو رية في رده لأحادث نبوية عقدية رغم صحتها.

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: رده لأحاديث متعلقة بالله عز وجل.

المطلب الثاني: رده لأحاديث متعلقة في حق الأنبياء" صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين".

المطلب الثالث: رده لأحاديث متعلقة بالمعجزات.

المطلب الرابع: رده لأحاديث متعلقة بالجنة والنار.

المطلب الخامس: رده لأحاديث متعلقة في تفضيل الشام.

الخاتمة وتشمل أهم النتائج والتوصيات المقترحة.

التمهيد

التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة وأهم روادها وسماتها ومصادرها

التمهيد

التعريف بالمدرسة العقلية الحديثة وأهم روادها وسماتها ومصادرها

أولاً: تعريف المدرسة العقلية الحديثة أو العصرانية الحديثة:

اتفقت تعريفات العلماء على أن المدرسة العقلية الحديثة هي المدرسة التي تجعل العقل أساساً مقدماً، وهو مصدر أول يسبق أي مصدر آخر، فالعقل مقدم على النقل، وهذا ما سيتضح معنا بعد أن ننقل بعض هذه التعريفات:

العقلانية: لغةً: من العقل: والعَقْلُ الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، والجمع عُقولٌ، ويأتي بمعنى القلب، ويأتي بمعنى المعرفة والعلم، والفهم، والجمع والإمساك، والتمييز بين الحسن والقبح، والخير والشر [1] .

العقلانية: اصطلاحاً: "استقلال العقل البشري بإدراك المصالح والمنافع دون الحاجة إلى قوى خارجية"[2] .

فهو منهج فكري يعتمد أحكام العقل، من غير الاستناد إلى الدين أو التجربة، فكل ما يحيط بنا مردود إلى مبادئ عقلية، وهذا المعنى الفلسفي للعقلانية.

أما العقلانية في اصطلاح علماء العقيدة: هي موافقة عقيدة أهل السنة والجماعة للعقل الصريح واهتمامها به، وإعلاء منزلته ومكانته، وتوفير طاقاته وتصريفها فيما يفيد[3] .

ونجد أن السمة التي تجمع العقلانيين الذين يقدمون العقل على النقل هي تقديمهم وتقديسهم للعقل، وأنهم أهل عقل وحكمة وسواهم ليس لديه اهتمام بالعقل، وهذا زعم كذبته التجارب الحقيقية فأكثر من تعاملوا مع العقل على أنه المصدر الأول والمقدم في معرفة الحقائق على النقل ضلوا وانحرفوا، وأخطأوا أكثر مما أصابوا[4] .

---

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، حرف اللام، فصل العين (ج458/11)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ج135/3).

(2) ومنهم من عرف العقلانية في الاصطلاح: بوصول العقل للمعرفة؛ فإن المعرفة تنشأ عن المباديء العقلية القبلية والضرورية، لا عن التجارب الحسية، لأن هذه التجارب لا تفيد علماً كلياً، انظر: المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا (ج90/2 – 91)، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية (ص178).

(3) محمد يسري: علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة المبادئ والمقدمات(ص277).

(4) انظر: الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة محمد صقر (ج25/1).

أما الحديثة: من حدث، والحديث بمعنى الجديد، وما كان حديثاً كان جديداً ولم يكن قبل ذلك[1] ، ونقصد بالحديثة هنا أي في العصر الحالي الذي نعيش فيه.

ولأن الحديثة والمعاصرة مترادفة من حيث اللغة؛ إذ تعني الجديد فإننا نعرف الحديثة أو العصرانية **من الناحية الاصطلاحية:** "استعمال العقل كمصدر أول من الناحية الفكرية في ظل دعوات التحديث والتجديد في العصر الحالي"[2] .

ويستعمل أصحاب المدرسة العقلية الحديثة أسماء براقة عندما يعرفون بأنفسهم منها التنويريين أو التحرريين، الإصلاحيين، التجديديين[3] .

ولكي نتعرف على المدرسة العقلية الحديثة أكثر لا بد أن نتطرق لأقسامها، وهي:

1- المدرسة العقلية الإلحادية المعاصرة:

هي المدرسة التي لا تعترف بوجود الخالق وهي ذات اتجاهات قد تتفق في بعض الأفكار وتختلف في بعض منها، مثل: الشيوعية والماسونية والعلمانية والوجودية، والوجودية، والوجودية ترتكز بالدرجة الأولى على العقل وهي امتداد لمذهب فكري فلسفي قديم وانتشر في القرن العشرين ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن الإنسان هو المحور الأساسي الذي تدور حوله الأفكار وأن الإنسان حر في أن يفعل ما يشاء ويختار لأنه غير مرتبط بخالق أو بقيم خارجة عن إرادته[4] .

2- **المدرسة العقلية لأصحاب الديانة (اليهودية والنصرانية):** المدرسة العقلية الغربية وتسمى بالعصرانية: وهي حركة تحديث واسعة نشطت في داخل الأديان الكبرى، داخل اليهودية،

(1) انظر: المصباح المنير، الفيومي (ج301/2).

(2) حوار هادئ مع الغزالي، سلمان العودة (ص9)، الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، فالح الصغير (ص91).

(3) انظر: الموسوعة الميسرة في المذاهب، الجهني (ج37/1)، فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين، د. محمد عمارة (ص20)، التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان أمامة (ص7)، الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة صقر (ص26).

(4) وهي مدرسة إلحادية فلسفية ذكرها عبد العزيز المحمدي: الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه(ص62-110) كما ذكر مدارس الحادية أخرى وملحدين في الوقت المعاصر ودوافع الحادهم، د. غالب عواجي في مذاهب فكرية معاصرة تحت عنوان الوجودية الإلحادية(ص859) وذكر من زعمائها سارتر المولود1905م، وهيدجر المولود (1889م).

وداخل النصرانية، وداخل الإسلام أيضاً، إن هذه الحركة عرفت في الفكر الديني الغربي باسم العصرانية[1] .

3- **المدرسة العقلية الإسلامية المعاصرة:** وتتنوع اتجاهات أصحابها إلى ثلاثة اتجاهات:

أ- **المدرسة العقلية الإسلامية الممتدة الحديثة (التقليدية):** وهي امتداد لمدرسة المعتزلة التي تقدم العقل على النقل، وبعض المذاهب الكلامية الأخرى[2] .

ب- **المدرسة العقلية المتأثرة بالغرب:** "إن المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرة لدى الغربيين"[3] ، وهذه المدرسة المسماة **(بالمدرسة العقلانية)**، وقد يسميها بعضهم **(بالمدرسة العصرانية)** نسبة إلى العصر الذي خضعت لظروفه وتأثرت به، تمد رواقها اليوم على عدد من المدارس، والجماعات، والأشخاص، والمعاهد، التي تهتم بالفكر الإسلامي في عدد من البلاد الإسلامية وفي بلاد أخرى غربية.

وهناك عصرانيون أصحاب نزعة عقلية مادية وهم من عرفهم محمد الناصر في كتابه (المدرسة العصرانية في نزعتها المادية): "هم أصحاب مذهب عقلي فلسفي يعتمدون على الفكر المادي الوضعي الذي ينظر إلى العالم الخارجي باعتباره الحقيقة الكبرى الكاملة، ومن أبرز دعاته الشيخ جودت سعيد والطبيب خالص جلبي"[4] .

ج- **المدرسة العقلانية اليسارية (التقدمية):** وهم يسمون أنفسهم باليسار الإسلامي أو التقدميون، وتعتبر مدرسة لأن لها مصادرها الفكرية وهي التراث الإسلامي، والتراث الغربي والإنساني، وتعتمد بجانب الوحي على العقل وعلى الجانب الإصلاحي، وهي متأثرة بالمعتزلة، ولهم طريقة غريبة في التعامل مع النص، فيما كان واقعياً منه، كم أن لها خصائص تميزها عن غيرها من المدارس، ولها مفكرون ومنظرون منهم: حسن

---

(1) انظر: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد الناصر (ص5)، المنتدى الإسلامي: مجلة البيان (114/137)، انظر: قاموس إنجليزي عربي، منير بعلبكي (ص 586).

(2) انظر: الاتجاهات العقلية الحديثة، د. ناصر العقل (ص19)، العصرانيون، محمد الناصر (ص367)، الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، شحاتة صقر (ج25/1).

(3) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد الناصر (ص5)، ، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد الرومي (ص70).

(4) المدرسة العصرانية في نزعتها المادية، محمد الناصر (ص17).

حنفي، ورضا محرم، وفتحي عثمان، وسيف الإسلام محمود، ذكر ذلك ووضحه صاحب كتاب (ظاهرة اليسار الإسلامي) [1] .

يقول صاحب (ظاهرة اليسار الإسلامي) نقلاً عن حسن حنفي: "إن العقل هو أساس النقل، وأنه كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقل، وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل.." [2] ، وقد يعتبرها البعض أنها هي نفسها المدرسة العقلية المتأثرة بالغرب؛ إلا أن حقيقة الأمر عند تتبعي للمدارس وروادها ومقالاتهم، وجدت التقدميين يختلفون من حيث مبدأ التفكير ودعوتهم إلى الاستفادة من الثورات في التاريخ الإسلامي، ورائدها حسن حنفي وهي معاصرة جديدة، وأكثر حداثة من المدرسة المتأثرة بالغرب التي أنشأها جمال الدين الأفغاني.

ويرى اليسار الإسلامي بأنه يجب دائماً أن يتم البحث عن العناصر الثورية في الدين لتثوير الواقع والانقلاب عليه كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وحسب رؤيتهم فإن الحاجة تدعو إلى ذلك كلما استبد القهر وانتشر التخلف والفقر.

ولا يقف اليسار الإسلامي عند مستوى استلهام الثورة والتحرر من النص؛ بل يمتد ذلك إلى البحث في تاريخ الإسلام عن الحركات الثورية، لإعادة اكتشافها وإبرازها واتخاذها نموذجًا، وفي هذا الإطار تمّت الإشادة بثورة القرامطة، وثورة الزنج، وحركة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، واعتراضه على الحكم الأموي، ووصل الأمر للإشادة بتمرد الخوارج على معاوية وعلي رضي الله عنهما في خلافهما[3] ، **ولهذه المدرسة تجاوزات رد عليها الدكتور إبراهيم عوض في كتابه(اليسار الإسلامي وتطاولاته المفضوحة على الله والرسول والصحابة).**

---

(1) ظاهرة اليسار الإسلامي، محسن الميلي (ص23-45)، مفهوم تجديد الدين، بسطامي سعيد (ص96-97)، مجلة البيان ج 137، ص114، العصرانيون، محمد الناصر (ص330).

(2) ظاهرة اليسار الإسلامي، محسن الميلي (ص55).

(3) الدين والثورة في مصر، حسن حنفي (ج8/59)، والخلاف الذي حدث بين معاوية وعلي رضي الله عنهما، خلاف له أسبابه وتداعياته وهو ليس خلاف عقدي، لذلك فإنه لا يخرج أي منهما عن الصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومكانة الصحابة وعدالتهم، لذلك نرى أن أهل السنة والجماعة يترضون عليهما ويحفظون لهما المكانة التي تليق بهما.

ثانياً: نشأة المدرسة الإسلامية العقلية الحديثة:

وسأسير على التقسيم السابق للمدرسة الإسلامية العقلية الحديثة:

أ- **المدرسة الإسلامية الممتدة(التقليدية):** نشأت قديماً، وما زال لها أتباع في وقتنا المعاصر[1] ، ومما لا شك فيه أن جميع الاتجاهات العقلية الحديثة اشتركت مع المعتزلة ومع غيرهم من العقلانيين من الفلاسفة في بعض الأصول؛ وخاصة في القرنيين الماضيين نشطت الأصول الكلامية من جديد، وكذلك الاتجاه العقلاني المعاصر[2] .

ب- **المدرسة الإسلامية العقلية المتأثرة بالغرب:** بدأت مع البعثات التي بعثت لأوروبا في زمن محمد علي، وكان من أبرز من تأثر بالغرب الشيخ رفاعة الطهطاوي، الذي ألف كتابه الشهير تخليص الإبريز في تلخيص باريز، وانبهر بالحضارة الغربية، وعزم على نقل التجربة الغربية إلى المجتمع المسلم[3] ، ثم جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده اللذان وضعا البذور الأولى لهذا المذهب الفكري، فحاول محمد عبده إثبات أهمية العقل في الإسلام، وإحياء الاجتهاد، فمال إلى تأويل الأحكام والنصوص تأويلاً عصرياً، واتخذ منهجاً عقلياً في تفسير القرآن وتوافقه مع النظريات العلمية الحديثة، ثم سعى تلاميذه من بعده إلى تطوير أفكاره، مطوعين النصوص للواقع، ومن هذه الأفكار ما دعا إليه قاسم أمين من تحرير المرأة، ودعوة علي عبد الرازق سعياً إلى فصل الدين عن الحكم[4] .

ج- **نشأة المدرسة العقلية اليسارية:** يرى سيف الإسلام محمود: "أن اليسار الإسلامي نشأ في ظرف ملائم بصفته الاتجاه المعارض والمصحح في داخل الحركة الإسلامية، والناظر إلى الحركة الإسلامية المعاصرة يجد أنها لم تكن يوماً في حاجة إلى هذا اليسار حاجتها اليوم إليه، وذلك بسبب سلسلة المحن التي تتالت عليها والسلبيات التي اتصفت بها، مثل السلبية

---

(1) وسميتها بالمدرسة الممتدة والتقليدية لأنها استخدمت أصول ومنهج ومراجع المدرسة القديمة، وقد ذكرها الشيخ ناصر العقل في كتابه الاتجاهات العقلية الحديثة (ص25) على أنها كانت قديماً وما زالت قائمة حتى الآن.

(2) انظر: الاتجاه العقلاني لدى المفكرين المعاصرين، سعيد الزهراني (ص4).

(3) انظر: جذور الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث، جمال سلطان (ص8-24)، وسميتها بالمدرسة العقلية المتأثرة بالغرب لأنها تأثرت بشكل كبير بالحضارة الغربية وحاولت التوفيق بين ما عند المسلمين والحضارة الغربية، واخترت هذا الاسم أيضاً تمييزاً لها عن المدرسة التقليدية وكذلك أصحاب الاتجاه اليساري.

(4) انظر: العصرانيون، محمد الناصر (ص367-370).

المطلقة والانزواء لدى البعض، والحماس الذي أصاب جسم الحركة بالتهيج لدى البعض الآخر، فضلاً عن الجفوة أو الفجوة بين شباب الحركة وكهولها وشيوخها من حيث نوعية التربية وطرائق التفكير، ويضيف حسن حنفي إن اليسار الإسلامي نتيجة حتمية لنجاح الثورة الإسلامية الكبرى في إيران كما أنه تطوير للإصلاح الديني الذي بدأناه في المائتي سنة الأخيرة"[1] .

ثالثاً: أبرز رجال المدارس الإسلامية العقلية الحديثة:

1- أما عن المدرسة العقلية الممتدة: ذكر الشيخ ناصر العقل أن من المنظرين لهذه المدرسة في وقتنا المعاصر[2] :

أ- فاروق الدملوجي: باحث عراقي من أهل الموصل ولد سنة(1881م) وتوفي سنة(1957م)، من مؤلفاته: تاريخ الآلهة، وهذا هو الإسلام[3] .

ب- محجوب بن ميلاد: هو فيلسوف تونسي ولد سنة(1916م)، توفي سنة(2000م)، درس الفلسفة الإسلامية بكلية الشريعة وأصول الدين، وكذلك أصول التربية، وعلم نفس الطفل، من أهم مؤلفاته: تحريك السواكن، كتاب البعث[4] .

ت- د. زكي نجيب محمود: فيلسوف مصري ولد في دمياط سنة(1905م)، توفي سنة(1993م)، من مؤلفاته: المنطق الوضعي، رؤية إسلامية في تحديث الثقافة الإسلامية، وغيرها[5] .

---

(1) مظاهرة اليسار الإسلامي، محسن الميلي (ص40-42)، وانظر أيضاً: مقال لمبارك جري بعنوان "من هم الإسلاميون التقدميون؟" بتاريخ 21-1-201م.

(2) الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر العقل (ص59-64)، وذكر عدداً من الفلاسفة والمفكرين المنظرين لهذه المدرسة، وأنا أخذت على سبيل المثال ثلاثة منهم.

(3) الأعلام، الزركلي (ج129/5).

(4) من وقائع الجلسة التكريمية للفيلسوف التونسي محجوب ميلاد بنادي قدماء المدرسة الصادقية سنة 2001م، موقع مشارق،.

(5) وهذا التعريف بهذا المفكر من خلال صفحة تعريفية به في موقع مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية.

2- أبرز رجال المدرسة العقلية الحديثة المتأثرة بالغرب:

أ- **جمال الدين الأفغاني:** وهو محمد بن صفدر بن علي بن محمد بن محمد الحسيني، الأفغاني (جمال الدين)، (1838 - 1897 م) عالم كبير، وهو صاحب المدرسة الإصلاحية[1] ، ولفريق من العلماء ملاحظات عليها.

ب- **محمد عبده:** تلميذ الأفغاني، هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني، (1266 - 1323هـ = 1849 - 1905 م)، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب، وما للشعب من حق العدالة على الحكومة[2] .

ت- **أحمد أمين:** أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ(1878-1954م): عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب، مولده ووفاته بالقاهرة، قرأ مدة قصيرة في الأزهر، وتخرج من مدرسة القضاء الشرعي، ودرس بها إلى سنة 1921م وتولى القضاء ببعض المحاكم الشرعية، ثم عين مدرساً بكلية الآداب بالجامعة المصرية، وانتخب عميداً لها (سنة 1939م)، وعين مديراً للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (سنة 1947م) واستمر إلى أن توفي، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد، ومنحته جامعة القاهرة (سنة1948م) لقب (دكتور فخري)، ومن أعماله إشرافه على (لجنة التأليف والترجمة والنشر) مدة ثلاثين سنة[3] .

ث- **طه حسين:** طه بن حسين بن علي بن سلامة (1889- 1973 م)، دكتور في الأدب: من كبار المحاضرين، جدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربي، ولد في قرية (الكيلو) بمغاغة من محافظة المنيا (بالصعيد المصري) وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره، وبدأ حياته في الأزهر (1902م) ثم بالجامعة المصرية القديمة، وهو أول من نال شهادة (الدكتوراه) منها (1914م) بكتاب (ذكرى أبي العلاء)، وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون (1918م) وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة، وعين

---

(1) انظر: الأعلام، الزركلي (ج168/6)، معجم المؤلفين، كحالة (ج10/ص92)، الموسوعة الميسرة في المذاهب، الجهني (ج119/2).

(2) انظر: الأعلام، الزركلي (ج252/6)، الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر العقل (ص83-85).

(3) انظر: الأعلام، الزركلي (ج101/1)، العصرانيون، محمد الناصر (ص26-27)، من كتاب الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر العقل (ص71-74).

محاضراً في كلية الآداب بجامعة القاهرة، ثم كان عميداً لتلك الكلية، ثم وزيراً للمعارف، وفي هذه البرهة تمكن من جعل التعليم الثانوي والفني مجاناً، وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي المراسلين بدمشق ثم رئيساً لمجمع اللغة بمصر [1] .

وإذا أردنا أن نصنف محمود أبو رية الذي هو محل هذا البحث؛ فإننا نلحقه بهذه المدرسة، وسيتضح لنا من خلال مباحث الرسالة مدى تأثره بهذه المدرسة.

3- أبرز رجال المدرسة العقلية الحديثة اليسارية:

أ- حسن حنفي: مفكر وفيلسوف مصري، حصل على ليسانس الآداب بقسم الفلسفة عام 1956م، ثم سافر على فرنسا وحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون، رأس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة، ودرس في جامعات عربية كثيرة، يعتبر مؤسس الاتجاه اليساري الإسلامي، وله أكثر من خمسين مؤلف[2] .

ب- حميدة النيفر: كاتب ومفكر وأستاذ جامعي تونسي، ولد عام 1942م، متخصص في أصول الدين والفكر الإسلامي، يعد من مؤسسي حركة النهضة التونسية، لكنه غادرها، وهو من أكثر المنظرين لليسار الإسلامي، حاصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية من السوربون، وكذلك على درجة الدكتوراه العلوم الإسلامية من الزيتونة[3] .

ت- صلاح الدين الجروشي: مفكر إسلامي تونسي أحد منظري اليسار الإسلامي ومن أبرز الإعلاميين، ولد في 6-2-1954م[4] .

رابعاً: سمات المدارس العقلية الحديثة:

ذكر فضيلة الشيخ ناصر العقل[5] عدة سمات تجمع أصحاب الاتجاهات العقلية الحديثة، وهي:

1- الجهل بالعقيدة والشريعة الإسلامية وأدلتها.

2- التلبيس والمكر والخداع في عرض مبادئهم وأفكارهم.

---

(1) انظر: الأعلام، الزركلي(ج231/3)، العصرانيون، الناصر (ص26-27).
(2) انظر: ذكريات، حسن الحنفي 1935-2018م.
(3) انظر: موقع مدونات الجزيرة ، (موقع الجزيرة)
(4) انظر: صلاح الدين الجاروشي، (موقع ويكيبيديا)
(5) الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر العقل (ص421).

3- ضعف الالتزام بأصول الإسلام وأحكامه.

4- الترابط العضوي بين روادها، وهذا يظهر في مدحهم لبعضهم البعض.

5- الإشادة بالحياة الغربية، البعد عن المصطلحات الشرعية والاستعاضة عنها بالمصطلحات الغربية.

6- اتباع الأهواء في مواقفهم وآرائهم في الدين والتدين.

ويزيد الباحث على ما سبق:

7- النزعة العقلية في الاستدلال، ومحاكمة النصوص الشرعية بعقولهم، فما قبله أخذوه، وما لم يفهموه أولوه، أو رفضوه.

8- سوء الأدب عند حديثهم عن الصحابة والسلف الصالح، وخاصة عند وصفهم المجتمع الإسلامي الأول ومقارنته بالمجتمعات المدنية الغربية الحديثة.

9- محاولاتهم الكثيرة لإقناع المثقفين المسلمين بأهمية تطبيق التجربة الغربية في فصل الدين عن الدولة.

10- محاولاتهم المتعددة لتجديد أصول الدين وأصول الاستدلال وتغيير الخطاب الإسلامي الملتزم.

خامساً: مصادر التلقي عند المدارس العقلية الحديثة:

تختلف مصادر التلقي بين هذه المدارس اختلافا متبايناً؛ فالمتتبع للمدرسة المعاصرة التي هي امتداد للمعتزلة يجد أن مصادر التلقي عندهم:

العقل وبراهينه، ثم الكتاب والسنة والإجماع[1] .

أما المدرسة العقلية الحديثة المتأثرة بالغرب نجدها تتلقى من:

1- الأصول الإسلامية ولكن مع محاكمتها بالعقل ومحاولة التجديد والتغيير في الأصول والفروع بما يتناسب مع العصر الحديث.

2- التأثر بالتجارب الغربية التي تبدو من وجهة نظرهم أنها ناجحة في تحقيق مجتمع يتحاكم إلى قانون يضبط الجميع وفيه تقدم ورقي[2] .

---

(1) انظر: الاتجاهات العقلية الحديثة، ناصر العقل (ص43-60).

(2) انظر: العصرانية ودعوتهم للتجديد، خشان (ص94-95)، العصرانيون، محمد الناصر (ص7).

أما المدرسة العقلية اليسارية فمصادر التلقي عندهم:

1- الأصول الإسلامية والتراث الإسلامي والعربي.

2- التجارب التغيرية والثورية في تجارب الآخرين سواء الاشتراكيين أو الغربيين في صناعة مجتمع متعاون[1] .

(1) انظر: الدين والثورة في مصر، حسن حنفي (8/20-45).

الفصل الأول

التعريف بمحمود أبي رية وأفكاره وأهم كتبه

المبحث الأول

التعريف بمحمود أبي رية

المطلب الأول: مولده ونشأته وحياته

أولاً: الحياة الاجتماعية:

مولده: ولد محمود أبو رية في كفر المندرة، مركز أجا، محافظة الدقهلية في 15 ديسمبر عام 1889م، الموافق 21 ربيع الثاني 1307هـ[1] .

ومركز أجا الذي تنتمي إليه قرية كفر المندرة يقع جنوب محافظة الدقهلية، ومعظم أراضيه أراضي زراعية إذ تشكل الأرض الزراعية أكثر من 63% من مساحة المركز، فالحياة في كفر المندرة هي الحياة الريفية المعتمدة بالدرجة الأولى على الزراعة[2] .

دراسته: جمع بين الدراسة المدنية والدينية بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية.

نشأته: قضى أكثر أيام عمره في مدينة المنصورة حتى وفد إلى الجيزة عام 1957م، وبقي فيها إلى حين وفاته[3] .

ثانياً: الحياة السياسية:

تعتبر الفترة التي عاش فيها أبو رية ضمن العهد الحديث لمصر، والذي يعتبر عهد مصر الجديدة التي دخلتها تغيرات جذرية في عهد محمد على باشا، وأدرك أبو رية جزءاً كبيراً من الحياة في ظل الحكم الملكي لمصر، كما عايش مصر في ظل نظامها الجمهوري.

وكانت هذه الفترة(1889م-1957م) زاخرة بالأحداث السياسية ومنها على سبيل المثال:

1- الاحتلال البريطاني لمصر1882م، وما كان لهذا الاحتلال من أثر سلبي على الصعيد السياسي والمجتمعي والعلمي[4] .

---

(1) مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي (ج130/1)، ولم يترجم لأبي رية أيٌّ من أصحاب التراجم، لذلك اعتمدت على ما جاء في مواقع الانترنت، وأكثر ما جاء في هذه المواقع أخذ من نفس المصدر وهو كتاب (من رجال الفكر) للسيد مرتضى الرضوي.

(2) موقع معرفة على الانترنت:https://www.marefa.org

(3) مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي (ج130/1).

(4) انظر: الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر، شحاتة إبراهيم (ص38).

2- ثورة 1919: ثوره شعبية وسياسية عارمة حصلت في مصر سنة 1919م فى عهد الملك فؤاد الأول، كان هدفها الأساسي للمطالبة باستقلال مصر عن بريطانيا، شاركت فيها كل الطبقات[1] .

3- اعتراف بريطانيا بسيادة مصر 1922م، وإصدار دستور 19إبريل 1923م الذي نتج عنه أول برلمان مصري بعد ذلك[2] .

4- بوادر الحرب العالمية الثانية وما أثرته على المشرق الإسلامي عامة ومصر خاصة وإقامة معاهدة الكتاب الأسود 1936بين مصر وانجلترا[3] .

5- حريق القاهرة 1952م بسبب تردي الأوضاع في مصر[4] .

6- ثورة23يوليو 1952م إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية 1953م[5] .

ولا شك أن الفترة التي كانت تضج بالأحداث السياسية من احتلال وثورات كان لها أثر كبير في صقل شخصية أبي رية ونزعته التحررية من قيود التمذهب والرضى بكل ما هو موجود.

ثالثاً: الحياة الثقافية:

رغم أن أبا رية تأثر بالشيخ محمد عبده وشيخ رشيد رضا واتجاههم الإصلاحي، إلا أنه كانت له شخصية مستقلة متحررة، ومع أنه كان قد تتلمذ على الرافعي إلا أنه خالفه وفارقه في وجهته المحافظة وفكره الأصيل، عبر عن ذلك وائل خلف في مقالته[6] ، وبين حرص الرافعي على السنة النبوية ورواتها والتصريح بالترضي على أبي هريرة رضي الله عنه.

وهذه الشخصية المتحررة التي كان يتمتع بها أبا رية إضافة إلى الثقافة التي اكتسبها من المدرسة الإصلاحية، قادته إلى الجرأة لمحاكمة الأصول الإسلامية؛ بل ومحاكمة أفعال وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

---

(1) انظر: الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر، شحاتة إبراهيم (ص159).

(2) انظر: الدستور الحالة المصرية أسئلة وإجابات في ضوء الدساتير المقارنة، عماد الفقي (ص10)

(3) انظر: الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر، شحاتة إبراهيم (ص176).

(4) انظر: حريق القاهرة، محمد أنيس (ص7-9).

(5) انظر: ثورة 23يوليو 1952، مجدي حماد، (ص22).

(6) انظر: مقالة على موقع الألوكة 30-7-2012م تحت عنوان براءة الرافعي من أبي رية

وهو بذلك يعتبر متحرر من المذاهب، ليس مقلداً لا في الفروع، ولا في الأصول، مع تكبر وتجرأ، هذا ما نفهمه من حديثه الذي نقله الرضوي حيث قال: "فجلست إلى جنب فضيلته وحييته، فرحب بي كثيرًا ، وفتحت الحديث معه وقلت : يا مولانا الشيخ : بأي مذهب من المذاهب الأربعة متمسك، فأجاب: أنا مسلم أعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وأنا غير ملتزم بمذهب من هذه المذاهب الأربعة، وقال: أنا أعلم من الشافعي، وأبي حنيفة؛ فسألته عن رأيه في الصحاح، فقال: الصحاح صحاح عند أصحابها، فقلت: ما رأي سيادتكم في بعض الرواة المكثرين للحديث، فقال: مثل من؟، قلت: أبو هريرة، فقال: أبو هريرة رجل وضاع"[1] .

وكذلك صرح بذمه للتقليد والمقلدين في معرض رده على مشايخ الأزهر، ومن ضمنهم الشيخ عبد الحليم محمود، فقال: "ولتجدن الذين قابلونا بنقدهم، ليس فيهم عالم محقق، ولا بينهم ناقد بصير، وليس ذلك بغريب عليهم لأنهم جميعاً قد جمعوا بين التقليد الديني، والجمود الفكري، والحشو الذهني، ومثل هؤلاء جميعاً يجب أن يقابلوا بما يستحقون من الإهمال والإعراض، ومن أجل ذلك تركناهم في جهلهم يعمهون، أما المقلدون فحسبك ما ذكره حافظ المغرب ابن عبد البر في وصفهم في كتابه (جامع بيان العلم وفضله)؛ إذ يقول: قال عبيد الله بن المعتز: لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد"[2] .

ومقصود المقولة السابقة ذم التقليد للعالم، أما العامي فإنه يقلد العلماء لأنه ليس من أهل النظر، ولذلك قال تعالى: ﴿... **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[3] .

وخلاصة الأمر أن أبا رية كانت له ثقافته الخاصة التي خالفت جماهير العلماء الموجودين في مصر، على الرغم من أن مصر في تلك الفترة كانت تعج بالأدباء والعلماء والمفكرين وكانت لهم اجتهاداتهم منها الصحيح، ومنها ما هو في محل النظر، إلا أنهم كانوا أكثر محافظة على الأصول، وكان أبو رية أكثر تجرؤاً على الأصول.

---

(1) مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي (ج132/1).

(2) كتاب أبو هريرة، أبو رية (ص25).

(3) النساء: 83.

المطلب الثاني: شيوخه وتلاميذه ووفاته

أولاً: شيوخه:

لم تذكر كتب التراجم، ولم يؤثر عن أبي رية أو من عاصره أن صرح بمشايخ أبي رية، إلا ما ذكر من مراسلات أبي رية وأسئلته للأديب الرافعي رحمه الله، ولكن استطعت أن استنبط مجموعة تأثر بهم أبو رية ممن أكثر عنهم النقل، وإن كان خرج عنهم بجرأته التي قادته للتهجم على أبي هريرة رضي الله عنه وغيره من الصحابة رضي الله عنهم.

1- **مصطفى صادق الرافعي:** وهو الأديب والشاعر الكبير مصطفى صادق عبد الرزاق الرافعي العمري، ولد في بهتيم في القليوبية سنة 1880م، عاش معظم حياته في طنطا حيث كان يعمل في المحكمة هناك، توفي رحمه الله سنة 1937م[1] .

وكان أبو رية يبعث بأسئلة ورسائل للرافعي والرافعي يجيبه، ويرد عليه برسائل ونصائح وإفادات.

2- **جمال الدين الأفغاني:** وهو محمد بن صفدر بن علي بن محمد بن محمد الحسيني، وقد سبق الترجمة له في التمهيد، تأثر أبو رية بآرائه ووصفه بفيلسوف الإسلام، ونقل عنه في مواطن كثيرة من كتبه[2] ، ومن هذه المواطن على سبيل المثال: "وفي تمام رسالتنا يطيب لنا أن نأتي برأي حكيم، لفيلسوف الإسلام السيد جمال الدين الأفغاني، أوحت به إليه بصيرة نافذة تستشف ما خفي وراء الأستار، وتنظر إلى بواطن الأمور فتكتنه ما فيها من الأسرار.." [3].

3- محمد رشيد رضا، ذكره أبو رية كثيراً مما يظهر تأثره به، وهو محمَّد رَشِيد بن علي رِضا القلموني، البغدادي الأصل(1282 - 1354 هـ = 1865 - 1935 م)، أحد كبار رجال الإصلاح الإسلامي، وهو تلميذ محمد عبده، ومن أشهر مؤلفاته مجلة المنار[4] .

4- **محمد عبده:** تلميذ الأفغاني، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، وسبق أنّا عرّفنا به في التمهيد، ولقد صرح أبو رية بتأثره بمحمد عبده وبفكره،

---

(1) انظر: حياة الرافعي، العريان (ص10-15).

(2) انظر: من هذه المواضع على سبيل المثال في كتاب دين الله واحد(ص104-108-126).

(3) دين الله واحد، أبو رية (ص 126).

(4) الأعلام، الزركلي (ج126/6)، أما المواضع التي تثبت إكثار أبو رية من النقل عن الشيخ رضا فعلى سبيل المثال: كتاب دين الله واحد (ص104، ص127)، وكتاب أبو هريرة (ص105، ص107، ص121، ص150).

وأكثر النقل عنه مادحاً له بألقاب (أستاذنا الإمام) في أكثر من موضع[1] ، ومن هذه المواضع على سبيل المثال: "وهذا الأمر قد تركه الله للناس، كما قال أستاذنا الإمام محمد عبده..." [2] ، واستشهد به عند حديثه عن التقارب بين الأديان، فقال: "جمعية التأليف والتقريب، كانت قد تألفت جمعية في بيروت بعد عودة الأستاذ الإمام محمد عبده إليها من باريس موضوعها: التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة...إلى أن قال: وكان الأستاذ الإمام محمد عبده صاحب الرأي الأول في موضوعها ونظامها"[3]

5- **أحمد أمين:** وقد سبقت ترجمته في التمهيد، نقل عنه وذكره أبو رية كثيراً[4] ، ومن هذه المواضع على سبيل المثال: قوله: "ممن انتقد أحاديث أبي هريرة في هذا العصر السيد رشيد رضا والدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين والدكتور محمد توفيق صدقي"[5]

6- **طه حسين:** وقد سبقت ترجمته في التمهيد من هذه الرسالة، ولقد راجع كتاب أضواء على السنة النبوية لأبي رية وقدم له بمقدمة مدح فيها جهد هذا الرجل، وانتقد هجومه على أبي هريرة، ونقله لبعض الروايات، ولقد نقل أبو رية عن طه حسين كثيراً[6] ، ومن هذه المواضع على سبيل المثال: "وإليك سطوراً مما وصف به الدكتور طه حسين هذا الكاهن الخبيث: كان غريب الأطوار عرف كيف يخدع كثيراً من المسلمين ومنهم عمر وهو كعب الأحبار"[7] .

7- **عبد الحسين شرف الدين الموسوي:** عالم شيعي ولد في الكاظمية سنة 1872م، وتوفي سنة 1957م، تأثر به أبو رية وأخذ من كتابه(أبو هريرة) الذي أهداه له، يوضح ذلك الرضوي فيقول: "قلت: قد ألف الإمام شرف الدين العاملي كتاباً في حياة هذا الراوية المكثر وأسماه: " أبو هريرة " فمد فضيلته (أبو رية) يده إلى حقيبة كانت معه وأخرج منها كتاب: " أبو هريرة " الذي ألفه الإمام شرف الدين العاملي، وكانت الطبعة الأولى طبعة صيدا – لبنان، وقال: هذا ما أهداه لي الإمام شرف الدين، فناولني النسخة فأخذتها بيدي فرأيت الإهداء بخط الإمام شرف

---

(1) انظر في كتابه دين الله واحد (ص32-36-61-81)، وكتابه أبي هريرة (ص57).
(2) دين الله واحد، أبو رية (ص10).
(3) المرجع السابق (ص103).
(4) انظر: كتابه أبو هريرة (ص169، ص187).
(5) المرجع السابق (ص148)
(6) انظر : المرجع نفسه، ص85-94-177).
(7) المرجع نفسه (ص94).

الدين على الكتاب وفيه: ما يشعر بجهاده وعلمه، وإكباره، ثم أخبره بوفاة عبد الحسين شرف الدين فحزن لذلك وقال كنت أنوي أن أهديه نسخة من كتابي الأضواء"[1] .

ومن يقرأ كتاب أبي رية(أبو هريرة شيخ المضيرة)، ويقارن بينه وبين كتاب عبد الحسين شرف الدين الموسوي يجده يمشي على غراره متأثرا بأسلوبه ناقلاً لنصوصه، موافقاً لطعنه في أبي هريرة رضي الله عنه.

ثانياً: تلاميذه:

تأثر بكتب أبي رية كثير من المفكرين من أصحاب الاتجاه التحرري أو ما يسمون أنفسهم بالتنويريين أو القرآنيين، ومن أهم من تأثر به:

1- **السيد صالح أبو بكر:** يظهر ذلك في كتابه (الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها) وحسب ادعائه في هذا الكتاب أنه تتبع الأحاديث التي تعارض القرآن، ولقد أكثر النقل في كتابه عن أبي رية، بل تستطيع أن تقول أن الجزء الأول منه هو خلاصة لكتاب أبي رية[2] .

2- **رشيد أيلال:** وهو كاتب وصحفي وشاعر مغربي ولد سنة 1974م، نشأ في أسرة محافظة، ألف كتاب (صحيح البخاري نهاية أسطورة) طبع بالمغرب ثم في تونس، وكتاب (الإسراء والمعراج أسطورة من؟)، ويظهر تأثره بأبي رية بشكل كبير في كتابه(صحيح البخاري) وهو ينقل عن أبي رية[3] .

ثالثاً: وفاته:

قضى محمود أبو رية آخر حياته في الجيزة من سنة 1957م إلى 1970م، ولعل ذلك راجع لأنها أقرب إلى القاهرة حيث النشاط الفكري، والجيزة والقاهرة فيهما حركة التأليف ودور النشر والطباعة بشكل كبير، وفيها توفي عن عمر يناهز 81 سنة، وكانت وفاته في 11 كانون الأول ديسمبر 1970 م[4] .

---

(1) مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي (ج136/1).

(2) انظر المبحث الرابع من موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام لعدد من الباحثين.

(3) انظر: صحيح البخاري نهاية أسطورة، رشيد أيلال (ص32-53-58).

(4) مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي (ج132/1).

المطلب الثالث: مؤلفاته

من أشهر مؤلفاته كما ذكرها الرضوي[1] :

1- كتاب (أبو هريرة شيخ المضيرة) طبع ثلاث مرات فى حياة المؤلف، تهجم فيه على أبي هريرة وشكك في رواياته.

2- كتاب (قصة الحديث المحمدي) يلقي الضوء على تاريخ كتابة الحديث ومراحله ويشكك فيه في نقل الحديث وتوثيقه.

3- كتاب أضواء على السنة المحمدية طبع ثلاث مرات فى حياة المؤلف، في لبنان والقاهرة بأكبر مطابع الشرق؛ دار المعارف المشهورة، واجه المؤلف بسببه الكثير من المشاكل، ورد عليه عدد من علماء السنة الجهابذة، قال المعلمي رحمه الله في كتابه الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة: "فإنه وقع إلي كتاب جمعه الأستاذ محمود أبو رية وسماه (أضواء على السنة المحمدية) فطالعته وتدبرته، فوجدته جمعاً وترتيباً وتكميلاً للمطاعن في السنة النبوية"[2] .

4- كتاب (دين الله واحد على ألسنة الرّسل؛ محمد والمسيح أخَوان) وفيه يدعو إلى التقارب بين الأديان لأن أصلها واحد، ويؤكد أن أتباع الديانات ليسوا كفاراً.

5- (رسائل الرافعي) وهي مجموعة رسائل خاصة كان يبعث بها الرافعي إليه في أسئلته عن نابغة الأدب، وقد اشتملت على كثير من آراء الرافعي في الأدب والسياسة ورجالهما.

6- كتاب (صيحة جمال الدين الأفغاني) وترجمته بالفارسية "نداء سيد جمال الدين الأفغاني"

7- "علي" وما لقيه من أصحاب الرسول " مخطوط ".

8- وله كتاب (السيد البدوي).

9- كتاب(حياة القرى).

10- وله عدد من المقالات التي نشرت في الرسالة والمقتطف والنهج والأهرام.

---

(1) مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي (1/132-133).

(2) الأنوار الكاشفة لما في أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، عبد الرحمن المعلمي (ص4).

المبحث الثاني

دراسته والمؤثرات التي أثرت على أفكاره وعلاقاته

المطلب الأول: دراسته وعلاقته بأصحاب المدرسة العقلية الحديثة

نقل الباحث قبل ذلك في التعريف بأبي ريّة، أنه تلقى تعليماً جمع بين الدراسة المدنية والدينية بالمدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد الدينية[1] ، ولم يكن هناك تفصيلٌ لمدة دراسته، ولكن الدراسة الحقيقية التي أثرت عليه وعلى منحى تفكيره هي دراسته لكتب أصحاب المدرسة العقلية الإصلاحية بزعامة جمال الدين الأفغاني وتلاميذه، وسبق ذلك عند الحديث عن شيوخه الذين تأثر بهم، وصرح بالأخذ من كتبهم، فكان لهم الأثر الكبير في صياغة أفكاره، ولزيادة توضيح العلاقة الوطيدة التي تثبت بأنه أحد المنظرين لهذه المدرسة ما قاله في كتابه (دين الله واحد) وهو يبين وجهته في التقريب بين الأديان، فقال: "وتضاعف سروري عندما ألفيت العالم الإسلامي الذي كان يباحث هذا القس واسع الاطلاع على أصول الأديان، وبخاصة دين الإسلام، ويبدو أنه الأستاذ الإمام محمد عبده؛ لأن ما صدر عنه من إجابات حكيمة سديدة، وبخاصة في ذلك التاريخ البعيد(1888م) ما لا يكاد يعرفه غير الأستاذ الإمام محمد عبده وأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني(رحمهما الله) ولنفاسة هاتين المقالتين آثرت ضمهما إلى هذه الرسالة ليأخذا مكانهما بين صفحاتها، وهي أولى بهما من غيرهما، ومن حسن التوفيق أن تضم رسالتي آراء قطبين عظيمين من كبار أقطاب المسلمين والنصارى، عملا جهدهما على التأليف والتقريب بين الأديان"[2] .

ولكن في حقيقة الأمر فإن من الظلم أن نحمل تبعة تجاوز أبو رية لهذه المدرسة أو لروادها، أولاً: لأنه ليس نظيراً لهم، أي ليس بنفس مستواهم العلمي.

ثانياً: لأنه ليس التلميذ النجيب المنظر لهم، وكل دارس متتبع لأفكار الرجل وأسلوبه الماكر فهو ينقل كلام أصحاب هذه المدرسة الإصلاحية غير مكتف بعباراتهم؛ التي هي أكثر اعتدالاً وموضوعية من عباراته وأسلوبه الجارح؛ بل يدخل عبارات الشتم والتجريح ثم يقول وهذا ليس كلامي وإنما كلام الإمام العظيم فلان، وهذا ما لا حظته مراراً، ومن ذلك على سبيل

(1) في(ص 20) من هذا البحث.

(2) دين الله واحد، أبو رية (ص103).

المثال: "وإذا كنا هنا لا نستطيع أن نتوسع في بيان الضرر الذي نجم عن الأخذ بعدالة الصحابة بعد أن كسرنا لذلك فصلاً برأسه في كتابنا الأضواء، فإنا نقتصر هنا على إيراد كلمة قيمة وجيزة تفصح عما كان من أثر ضار في روايات أبي هريرة خاصة، ولولاها لبدا أمر هذا الصحابي على غير ما يفهم الجمهور، وهذه الكلمة ليست لنا حتى لا يقال إننا قد جئنا بها لنعزز ما كتبناه، وإنما هي لإمام جليل من أئمة المسلمين هو السيد رشيد رضا قال رضي الله عنه: إنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الإنكار، أو مظنته، لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن، وإخبار النبي صلى الله عليه وآله ببعض المغيبات التي تقع بعده، ويزاد على ذلك، أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من العلل التي يتثبت بها في روايته، كما هو المعهود عند نقاد الحديث، أهل الجرح والتعديل؛ ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة"[1] .

وكلام الشيخ محمد رشيد رضا في بعض الروايات التي اختلف فيها المحدثون من باب الصناعة الحديثية كما صرح بذلك، لا اتهاماً لأبي هريرة رضي الله عنه.

وهذا ما لاحظه أيضاً صاحب كتاب (منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة) فقال:" وكل ما فعله أبو رية هو قراءة مجلة المنار، وجمع أقوال الشيخ رشيد رضا المتناثرة فيها، وزاد عليها سوء الظن وسوء الفهم، فكانت النتيجة هي: "أضواء على السنة المحمدية"، لقد كان أبو رية يردد بلا فهم ولا وعي كلام الشيخ رشيد رضا، ولقد نقل أبو رية عن الشيخ رشيد في كتابه ستة وعشرين مرة أو تزيد"[2] .

المطلب الثاني: علاقته بالأزهر

حاول أبو رية أن يظهر أكثر من مرة أن عقله وقلبه أكبر بكثير من أن ينزل لمستوى علماء الأزهر، وأنه لا يرد عليهم إلا بما تقتضيه أمانة بيان العلم، وتظهر هذه النزعة التي فيها الكبر بشكل بارز وهو يرد على انتقادهم لكتبه، فقال: "منهجي الذي اتخذته في كتابي هذا وفى غيره، ولا يعنيني بعد ذلك أن يغضب علي زيد، أو يرضى عني عمرو، ولا أكتم القراء أنه منهج شاق عسير، ولكني استعذبته ورضيت به مغتبطاً لأنه سبيل الحق، وليس بعد الحق إلا الضلال، وقد استعنت الله فيه فأعانني، واستهديته فهداني"[3] .

---

(1) أبو هريرة، أبو رية (ص150-151).

(2) منهج الشيخ محمد رشيد رضا، تامر متولي (ج1/159).

(3) مقدمة كتاب أبي هريرة، أبو رية (ص8).

ولكن محاولاته التي أراد أن يظهر بها أدبه الجم لم تنجح في إثبات وقار الرجل وامتلائه علماً؛ بل كان على الدوام يسقط ما بين الحين والآخر في السباب والشتم لرجال ومشايخ الأزهر، ومن ذلك ما قاله في حق الشيخ عبد الحليم محمود الذي وصفه بأنه غير مؤاخذ ولا يجري عليه القلم[1] ، والشيخ محمد شهبة ومجموعة من مشايخ الأزهر الذين وصفهم بالجهل وقلة العلم والفهم، والسباعي الشامي الأزهري الذي وصفه بأنهم استعاروه لأنه يجيد الهجاء[2] ، وإليك مقتطفات مما كتبه في ذلك: "ولو أن مشايخنا كانوا على شيء من معرفة أصول الدين وحقائق العلم لنأوا بأنفسهم عن الكلام في هذه الهنات لأنها في نفسها – حتى لو بقيت بغير تصحيح لا تمس الدين ولا العلم في شيء، وليس في إتيانها أي وزر أو ذنب، ومن التهم التي نقلها شيوخنا عن شيخهم السباعي هذا بغير فهم ولا إدراك، أننا بكتابنا الأضواء إنما نخدم المستشرقين، بما نطلعهم على خفايا الدين التي لا يعرفها أحد من غير المسلمين! كأنهم يستعلنون بذلك أن الدين الإسلامي وتاريخه وكتبه، كل ذلك محجوب علمه عمن ليسوا بمسلمين، وأن هؤلاء المستشرقين كانوا عن ذلك كله من الغافلين الجاهلين، حتى أتاهم كتابنا فكشف لهم الغطاء عن المكنون من أسرارنا، والمخفي من ديننا، فعرفوا منه ما لم يكونوا يعرفون! وهذا والله هو الجهل والغباء بعينه، ولقد وقع في هذه الجهالة أخيراً الشيخ محمد أبو شهبة علامة الأزهر في كتابه الذي سنتكلم عنه فيما بعد، فقال مثل قولهم!" [3] .

وهذه الخصومة مع مشايخ الأزهر ليست فقط لأنهم انتقدوا كتبه وما فيها من تجاوزات، بل لتعاليه والكبر الذي في نفسه فأضفى على تصوره العقلي تجاوزات كثيرة ستظهر في ثنايا البحث، ومن الأمثلة على ذلك من كلامه: "إذ إنه قد صدر في سنة 1958م وكتيبهم قد طبع في سنة 1967م أي بعد ظهور كتابي بتسع سنين كاملة! فأين كان شيوخنا الأجلاء حينئذ من نقد كتابنا؟ وما سبب قيامهم بعد انقضاء هذا الزمن الطويل؟ لعل هذه الجماعة وهي بطبيعتها أزهرية قد أرادت أن لا يفوتها أداء ما على كل أزهري من نصيب في شتمنا والطعن فينا! فقامت بأداء ما عليها –ولو جاء متأخراً– حتى تبرئ ذمتها، وترضى نزعتها! وإذا كان الأمر كذلك فمرحبا"[4] .

---

(1) مقدمة كتاب أبي هريرة، أبو رية (ص14-15).

(2) المرجع السابق (ص7-8).

(3) أبو هريرة، أبو رية (ص22)، وتكلم كذلك على أبي شهبة ومحب الدين الخطيب ووصفهما بالجهل(ص30) من نفس الكتاب.

(4) نفس المرجع السابق(ص14-15).

ثم أكمل قائلاً: "ولقد كان الأجدر بمشايخنا هؤلاء أن يعرفوا قدر أنفسهم ويحفظوا للعلم كرامته حتى لا يتورطوا في معالجة أمر هو من وراء علمهم، وفوق طاقتهم، ومن أجل ذلك جاء كتيبهم كغيره وليس فيه دراسة علمية تظهر خطأ أو تصحح غلطاً، أو تعدل رأياً، وكذلك ليس فيه نقد موضوعي يقوم على المنهج العلمي الحديث – وإنما يحمل مثل ما يحمله غيره من السب والشتم، ورمى الناس بالتهم بغير رادع من دين، ولا زاجر من خلق كريم"[1] ، إلى أن قال: "ولتجدن الذين قابلونا بنقدهم، ليس فيهم عالم محقق، ولا بينهم ناقد بصير، وليس ذلك بغريب عليهم لأنهم جميعا قد جمعوا بين التقليد الديني، والجمود الفكري، والحشو الذهني، ومثل هؤلاء جميعاً يجب أن يقابلوا بما يستحقون من الإهمال والإعراض، ومن أجل ذلك تركناهم في جهلهم يعمهون"[2] .

انظر إلى هذه الكلمات التي تعبر عن كبره، وعدم اعتداده بمقولات ونقد غيره له، وإليك مزيداً من نصوصه المعبرة عن ذلك: "فقلت له: هون عليك يا صاح! فأنا جد خبير بشيوخك هؤلاء وبعلمهم وبنقدهم سواء كانوا أفراداً أو جماعات وقد بلوتهم من قبل فلم أجد بينهم عالماً ولا باحثاً ولا محققا!" [3] .

وفي مقدمة الطبعة الثانية من كتاب أبي هريرة قال: "وثانياً: أن نأتى في آخر كتابنا هذا بإلمامة مررنا فيها مراً خفيفاً بكتاب ظهر أخيراً باسم (أبو هريرة راوية الإسلام) لشاب يدعى عجاج الخطيب، وساعده على تأليفه جمهرة كبيرة من شيوخ الدين وقد اضطررنا لكتابة هذه الإلمامة على حين أن هذا الكتاب في حقيقة أمره – لا يستحق أن ينظر إليه"[4] .

ثم قال في آخر الكتاب: "وإننا قبل أن نضع القلم من هذه الإلمامة لا نرى بداً من أن نزجي خالص الشكر إلى الخطيب العجاج على أن أتاح لنا فرصة طيبة لكي نعرف كيف يكون تأليف كبار شيوخنا الأزهريين! وبخاصة من يتولى منهم التدريس في كليات الجامعات، ونقف على مبلغهم من العلم في النقد، ومدى بصرهم به، ثم كيف يصنعون من الخرافات والمتناقضات وما إليها صوراً يخرجونها في كتب تفسد عقول الناس وأفكارهم"[5] .

---

(1) كتاب أبو هريرة، أبو رية (ص20–23).
(2) المرجع السابق(ص25)
(3) المرجع نفسه (ص274).
(4) المرجع نفسه (ص12).
(5) أبو هريرة، أبو رية (ص292)، ورد على تقريظ الشيخ محمد أبو زهرة على كتاب العجاج(ص289) من نفس الكتاب.

وصرح بأنه لا يصف علم الأزهر بالجهل؛ لكنه يرى أن الأزهر لم يرتقِ إلى الدرجة التي يجب أن يكون فيها، وأصبح ضعيفاً بما يصدر عنه من مطبوعات، يعبر عن ذلك مستوى مجلة الأزهر المتدنية بين المجلات الأخرى[1] .

كل ما سبق يؤكد أن علاقته بالأزهر كانت علاقة سيئة للغاية، وأن مشايخ الأزهر كانوا له بالمرصاد رداً ونقداً لأقواله ومؤلفاته.

المطلب الثالث: علاقته بالصوفية

لم تكن علاقة أبو رية بالصوفية جيدة؛ بل كان كثير الانتقاد لهم، ومن هذه المواضع التي انتقدهم فيها عند حديثه على الأبدال، فقال: "كان مما خصوا به بلاد الشام من الفضل – بعد أن وصفوا أهلها بما وصفوا– أن جعلوا منها (الأبدال) وقد كانت هذه العقيدة من عوامل هدم الإسلام؛ إذ اتخذها الصوفية أصلاً لطريقتهم، وبنوا عليها ما بنوا من أوهامهم وخرافاتهم"[2] .

ثم نقل كلام السيد رشيد رضا عن أحاديث الأبدال، فقال: "بدأ رحمه الله جوابه بقوله: إن هذه الأحاديث باطلة رواية ودراية، سنداً ومتناً، وإنما راجت في الأمة بعناية المتصوفة"[3] .

ونقل كلام ابن خلدون فقال: "قال حكيمنا المحقق ابن خلدون في سياق كلامه في علم التصوف من مقدمة تاريخه، بعد أن بين منشأ التصوف، وحال أهله في علمهم وعملهم، ما نصه: ثم إن هؤلاء المتأخرين من المتصوفة المتكلمين في الكشف وفيما وراء الحس توغلوا في ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة، وملأوا الصحف منه، مثل الهروي وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف، وكان سلفهم مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنتين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة"[4] .

والصوفية بشكل عام منهم المعتدل ومنهم من وقع له الأخطاء كسائر جماعات المسلمين، ولو كان أبو رية منصفاً لنقل الكلام كاملاً لابن خلدون فنقل العبارة التي قبلها والتي

---

(1) كتاب أبو هريرة، أبو رية (ص30).

(2) أضواء على السنة النبوية، أبو رية (ص103)، والصوفية: هم أتباع طرق معينة تدعو إلى الزهد والسمو الروحي، ونسبة اشتقاق هذا الاسم يرجع للبسهم للصوف أو من الصفاء أو من (سوف) وهي الحكمة باليونانية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ج1/249).

(3) نفس المرجع السابق (ص104–105).

(4) المرجع السابق (ص105).

تكلم فيها ابن خلدون عن محققي الصوفية، والعبارة التي بعدها عن الشيخ الصوفي الزيات الذي مدحه ابن خلدون قائلاً عنه شيخنا العارف كبير الأولياء بالأندلس، أبي مهدي عيسى بن الزيّات[1] .

وقال أبو رية في الأضواء أيضاً: "الغفلة عن الحفظ اشتغالاً عنه بالزهد والانقطاع للعبادة، وهؤلاء العباد والصوفية يحسنون الظن بالناس ويعدون الجرح من الغيبة المحرمة، ولذلك راجت عليهم الأكاذيب، وحدثوا من غير معرفة ولا بصيرة، فيجب أن لا يعتمد على الأحاديث التي حشيت بها كتب الوعظ والرقائق والتصوف..." [2] .

ومع أنه نقل عن السيوطي في بعض المواطن، وكذلك عن الشيخ محمد زاهد الكوثري وهما صوفيان[3] ، إلا أن هذا النقل كان في بعض المواطن الحديثية وليس في معرض بيان الأفكار، وتوجهه العام في التفكير والنقل والبيان لا يتماشى مع الصوفية.

المطلب الرابع: علاقته بالأثرية[4]

إن المتتبع لكتابات أبي رية ونقله في كثير من المواطن وخاصة التي تحقق في بعض القضايا العلمية يجد من الغرابة والعجب ما يدعو للتأمل والوقوف مع شخصيته التي جمعت المتناقضات، فهو الشخص المتحرر الجريء في نقده للأحاديث وشخصيات الصحابة، وفي نفس الوقت ينقل عن أحمد بن حنبل[5] ، وعن ابن تيمية وابن القيم بشكل كبير جداً[6] ، خاصة في مواطن التحقيق والترجيح.

---

(1) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، أبو خلدون (ج1/619-622).

(2) الأضواء، أبو رية (ص95).

(3) نفس المرجع السابق (ص284).

(4) والأثرية اسم يطلقه كثير من أهل العلم ويريدون به أهل السنة والحديث وخاصة كبار أئمة الحديث كأحمد بن حنبل ومن اشتهروا بعلم الحديث والأثر. وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراه)، محمد عبد الله (ص119).

(5) انظر: على سبيل المثال لا الحصر، الأضواء، أبو رية (ص255).

(6) انظر: نقله عن ابن تيمية رحمه الله في الأضواء(ص103-105-106-116-298)، وكذلك نقل عن ابن القيم (ص42-114-162-344) من نفس الكتاب.

وكذلك نقل عن ابن مفلح الحنبلي[1] ، وعن ابن حامد الحراني الحنبلي[2] .

وكان ينقل في تدعيم كلامه في تبيين تاريخ الحديث الشريف بكلام أكابر علمائه كابن الصلاح والعراقي والسمعاني والحاكم، وعبد الرحمن بن مهدي، وغيرهم، وإن كان يضفي على هذه النقول رؤيته الخاصة وإثبات وجهته المتشككة في رواية الحديث[3] .

وإن كان من الطبيعي أن يقوي كتابه بنقله عن أكابر علماء الحديث، بذكاءٍ مخادعاً ومدلساً للوصول لإثبات صحة رأيه، فإن ما هو غير طبيعي ويدعو للتساؤل أن يلجأ إلى تحقيق ابن تيمية وآراء ابن القيم مكثراً عنهما، مادحاً وجهتهما، مع أنه يختلف مع مذهبهم حقيقةً في تجرئه وتجاوزه!

ووقفت كثيراً هنا لأصل لسر إعجاب أبي رية بابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وما استنتجته أن **ذلك يرجع لوجهتين:**

1- وجهتهما في انتقاد التقليد والمقلدين.

2- وجهتهما في انتقاد التصوف والمتصوفة.

وهذه النتيجة يصل إليها من تتبع كتابات أبي رية ووجهته العامة في كتبه، وقد بين الباحث قبل ذلك ذم أبي رية للصوفية، وكذلك تصريحه بانتقاده للمقلدين، ومما يؤيد ذلك قوله في أضواء على السنة، قال: "وإن جميع البدع الدينية التي يسميه الناس (بدعة حسنة) هي من الزيادة في الدين وياليتها كانت زيادة في الأعمال فقط ولكنها زيادة في العقائد أيضاً – كاعتقاد وساطة بعض الصالحين (الأموات) بين الله والناس في قضاء حوائجهم- إما بأن يقضوها بأنفسهم لأن لهم سلطة غيبية وراء الأسباب، وإما بأن يقضيها الله تعالى لأجلهم فتكون إرادة الله تابعة في ذلك لإرادتهم، كما اشتهر من قولهم: إن لله عباداً إذا أرادوا أراد"[4] .

وقال في انتقاده للتوسل: "ومما لا مراء فيه أن هذا اليهودي-يقصد كعب الأحبار- قد أراد بقوله هذا أن يخدع عمر عن أول أساس قام عليه الدين الإسلامي-وهو التوحيد الخالص- ليزلقه إلى هوة التوسل الذي هو الشرك بعينه"[5] .

---

(1) الأضواء، أبو رية (ص255).

(2) المرجع السابق (ص77).

(3) المرجع نفسه (ص256-261).

(4) المرجع نفسه (ص98).

(5) المرجع نفسه (ص128).

المطلب الخامس: علاقته بالشيعة الاثنا عشرية

لا أظن أن هناك باحث أو دارس لكتب أبي ريّة يخفى عليه تشيع أبو ريّة لعلي رضي الله عنه، وكرهه لمعاوية رضي الله عنه، وتأثره بالروافض الاثنا عشرية وعلاقته الوطيدة بهم؛ بل السر الذي جعله يكره أبا هريرة رضي الله عنه، ويحمل عليه كل هذه الحملة الشديدة، هو مناصرة أبو هريرة لمعاوية على حد تصوره وما ظهر في تعبيراته، وإن كان عند التحقيق تبين حياد أبي هريرة رضي الله عنه[1] .

وما يدلل على ذلك مجموع النصوص المنقولة عنه المعبرة عن أفكاره ومنهجه، وسيعرض الباحث المواطن التي عبر فيها عن تشيعه لعلي وكرهه لمعاوية، ثم أعرض الأمثلة التي تدلل على قوة علاقته بالشيعة الروافض.

أولاً: تشيعه لعلي رضي الله عنه، وكراهيته لمعاوية رضي الله عنه:

ما نقله من قول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: "وأخرج مسلم في صحيحه والترمذي، أن معاوية قال لسعد بن أبي وقاص: ما يمنعك أن تسب أبا تراب–يعني عليّ–! فقال: أما ذكرت ثلاثاً، قالهن له رسول الله فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منها، أحب إليّ من حمر النعم: سمعت رسول الله يقول له، وقد خلفه في بعض مغازيه، وهي تبوك فقال له عليّ: يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله: أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فتطاولنا لها، فقال: ادعوا لي علياً فأتى به أرمد ودفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما نزلت: ﴿ **فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكاذِبِينَ**﴾[2] الآية، دعا رسول الله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقال: اللهم هؤلاء أهلي، وذلك بعد أن أدار عليهم الكساء رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم، ولما قدم معاوية المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري، فقال له معاوية: تلقاني الناس كلهم غيركم معشر الأنصار، ما منعكم؟ قال: لم يكن معنا دواب، فقال معاوية: فأين النواضح؟ قال أبو قتادة: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر!! قال: نعم يا أبا قتادة، ومما قاله أبو قتادة

---

(1) والدليل على حياد أبي هريرة رضي الله عنه: روايته لحديث هلكة أمتي على يد أغيلمة من قريش وهو حديث في البخاري، وهو متوجه نحو بني أمية.

(2) آل عمران: 61.

لمعاوية يومئذ أن رسول الله قال لنا: إنا نرى بعده أثرة، قال معاوية: فما أمركم عند ذلك؟ قال: أمرنا بالصبر، فقال: اصبروا حتى تلقوه!" [1] .

وانتقد أبو رية معاوية كثيراً وعده من البغاة ونقل أقوال كل من طعنوا فيه، وأراد أن يثبت أن الأمويين خططوا لأخذ الحكم منذ انتقال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

ومن هذه المواطن التي انتقد معاوية فيها ووصفه بالبغي:

- قوله: "فوقف معاوية زعيم الفئة الباغية من عليّ، موقف أبى سفيان من النبيّ، وجاء يزيد فوقف من الحسين موقف جده من النبي وموقف أبيه من عليّ رضي الله عنه، وقد كان أول عمل لمعاوية بعد أن استولى على الحكم أن كتب إلى عماله في جميع الآفاق بأن يلعنوا علياً في صلواتهم وعلى منابرهم، ولم يقف الأمر عند ذلك؛ بل كانت مجالس الوعاظ في الشام تختم بشتم عليّ، وأن لا يجيزوا لأحد من شيعته وأهل بيته شهادة وأن يمحوا من الديوان كل من يظهر حبه لعليّ وأولاده وأن يسقطوا عطاءهم ورزقه"[2] .
- قوله: "تكشف عن سياسة هذه الدولة التي قلبت نظام الحكم من خلافة عادلة أساسها الشورى إلى ملك عضوض يقوم على الاستبداد، وفى عهدها تحول تيار التاريخ الإسلامي عن مجراه المستقيم وانحرف هاهنا وهاهنا، يسير على غير هدى"[3] .

بل ادعى أبو رية أن أئمة السنة والشيعة أجمعوا على أنه من البغاة، وهذا ادعاء بعيد عن الصواب، فقال: "لما كان معاوية على ما وصفنا، وأن أئمة السنة والشيعة قد أجمعوا على

---

(1) ذكر أبو رية هذه الرواية في كتابه: أبو هريرة (ص194)، كذلك كتاب الأضواء (ص243-245)، وبحثت عن هذه الرواية في كتب السنن فلم أجدها إلا في الجامع، أبو عروة، بَابٌ فِي فَضَائِلِ الْأَنْصَارِ (ج60/11)، حديث رقم: 19909، شعب الإيمان، البيهقي، وقد فصل في ذكر ما ورد من التشديد في الظلم (ج549/9)، حديث رقم: 7084.

(2) أبو هريرة، أبو رية (ص179)، ولم أجد في الروايات الصحيحة لعن عليّ رضي الله على المنابر، إلا ما ورد في كتب التاريخ، وإن من أنصف ما قيل في ذلك: ما رواه الذهبي رحمه الله: "وَأما مَا وَقع من لعن عَليّ فَإِن التلاعن وَقع من الطَّائِفَتَيْنِ فَكَانَ هَؤُلَاءِ يلعنون رُءُوس هَؤُلَاءِ فِي دُعَائِهِمْ وَهَؤُلَاء يلعنون رُءُوس هَؤُلَاءِ، والقتال بِالْيَدِ أعظم من التلاعن وَهَذَا كُله سَوَاء كَانَ ذَنباً أَو اجتهاداً مخطئا أَو مصيباً فَإِن مغْفرَة الله وَرَحمته تتَنَاوَل ذَلِك بِالتَّوْبَةِ والحسنات الماحية والمصائب المكفرة وَغير ذَلِك". المنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي (ص265).

(3) أبو هريرة، أبو رية (ص180).

أنه كان باغياً على أمير المؤمنين المرتضى عليّ، وترتب على بغيه عليه سفك دماء غزيرة، وفتن ومعاصٍ كثيرة، لم يخلص المسلمون من شرها إلى هذا اليوم، والظاهر أنها ستبقى إلى يوم القيامة، وأنه أول من هدم ركن الشورى في الإسلام، وبايع لابنه يزيد بالقوة والجبروت"[1] .

ونقل عن الدكتور أحمد أمين أن الحكم الأموي لم يكن حكماً إسلامياً عادلاً، يسوى فيه بين الناس، ويكافأ فيه من أحسن عربياً كان أو مولى[2] .

ونقل أقوالاً تشكك في إسلام معاوية منها: "وأرسل قيس بن سعد إلى معاوية كتاباً قال فيه: أما بعد فإنك وثن ابن وثن، دخلت الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً"[3] .

ثانياً: علاقته الوطيدة بالشيعة الاثنا عشرية:

أما عن علاقة أبي ريّة بالشيعة الاثنا عشرية فهي علاقة وطيدة فيها دفاع عنهم، ونقلٌ من كتبهم، وتبادلٌ في المودة والمحبة.

أولاً: الدفاع عنهم ونقله لما في كتبهم، فيظهر ذلك في مواطن كثيرة منها:

- لما نقل عن أحاديث الأبدال أنها من اختلاق المتصوفة والشيعة، قال في الحاشية لكن الشيعة لا يقولون بذلك فليس عندهم أبدال"[4] ، ونقل عن الشيعي عبد الحسين شرف الدين في كتابه الفصول المهمة في تأليف الأمة، قوله: "وأنكى من هذا كله عدم احتجاج البخاري في صحيحه بأئمة أهل البيت النبوي، إذ لم يرو شيئاً عن الصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والزكي العسكري وكان معاصر له..." [5] .
- ومن مواطن الدفاع عن الشيعة ومذهبهم، ما كان من أمره أن رجع عن القول بوجود عبد الله بن سبأ اليهودي الذي أثار الفتن والوقيعة، استناداً لما أكده مرتضى العسكري، وقال وما هذا الاسم إلا اختلاق من أعداء الشيعة أرادوا أن يخترعوا عنصراً يهودياً إمعاناً في الكيد للشيعة..." [6] .

---

(1) أبو هريرة، أبو رية (ص185).
(2) انظر: المرجع السابق (ص186).
(3) المرجع نفسه (ص194).
(4) الأضواء، أبو رية (ص196).
(5) المرجع السابق (ص285).
(6) المرجع نفسه (ص151-152).

- ونقل عن محمد الحسين آل كاشف الغطا النجفي في كتابه المطالعات: "إن أول من دون الحديث ابن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام..." [1] .

ثانياً: علاقات المودة والمحبة وتبادل الكتب وإهدائها وتقريظها، فيظهر في مواطن عدة منها:

- ما حدث به مرتضى الرضوي:" قلت: قد ألف الإمام شرف الدين العاملي كتاباً في حياة هذا الراوية المكثر وأسماه: "أبو هريرة " فمد فضيلته يده إلى حقيبة كانت معه وأخرج منها كتاب (أبو هريرة) الذي ألفه الإمام شرف الدين العاملي وكانت الطبعة الأولى طبعة صيدا– لبنان: وقال: هذا ما أهداه لي الإمام شرف الدين، فناولني النسخة فأخذتها بيدي فرأيت الإهداء بخط الإمام شرف الدين على الكتاب وفيه: ما يشعر بجهاده وعلمه، وإكباره"[2] .
- وكذلك إهداء مرتضى الرضوي له كتاباً في أحاديث المهدي فقال مرتضى الرضوي: "إذا كنتم بحاجة إلى (أحاديث في المهدي) فإن معي كتاب (منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر) لفضيلة العلامة الكبير الشيخ لطف الله الصافي وفيه ينقل عن أعلام السنة ومحدثيهم، وإني مستعد لتقديمه لفضيلتكم؛ حيث إنه ملم بهذا الموضوع"[3] .

---

(1) الأضواء، أبو رية (ص245).

(2) مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي (ج136/1).

(3) المرجع السابق (ج132/1).

المبحث الثالث

التعريف بأهم كتبه وتقييمها

المطلب الأول: كتاب أضواء على السنة المحمدية وتقييمه

هذا الكتاب طبع و نشر في مصر عن طريق دار المعارف المصرية طبع ست مرات، علق عليه الدكتور طه حسين وقال فيه: "هذا كتاب بذل فيه مؤلفه من الجهد ما لا يبذل مثله إلا الأقلون، الذين يمكن إحصاؤهم في هذه الأيام التي انتشر فيها الكسل العقلي، وعم فيها إيثار الراحة والعافية على الجد والمشقة والعناء"[1] .

ولكن طه حسين انتقد فيه بعض المواضع منها: تجرؤه على أبي هريرة رضي الله عنه، فقال: "وكان المؤلف يستطيع أن يسجل هذا كله تسجيلاً موضوعياً كما يقال دون أن يقحم فيه غيظاً أو موجدة"، وكذلك انتقده في رواية أنه كان يأكل عند عثمان ويصلي وراء علي، وكذلك انتقده في مهاجمته للمشايخ ووصفهم بالحشوية والمقلدين"[2] .

وعند تتبع الباحث لكتاب الأضواء، وجد أن الكتاب:

1- يكثر من النقول عن أئمة علم الحديث.

2- فيه نقل واضح عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم والشاطبي وغيرهم من الأثرية.

لكن فيه من التجاوز الشيء الكثير، ومن هذه التجاوزات:

1- وظف المؤلف بذكاء النقول في خدمة توجهه من التشكيك في السنة القولية ونقلها.

2- بلغ التجاوز ذروته في تجرؤه على أبي هريرة رضي الله عنه وطعنه في دينه وأمانته.

3- كذلك التقليل من شأن الصحاح واحتوائها على أحاديث مختلقة.

4- المبالغة في ذم الدولة الأموية وطغيانها على حد تعبيره.

5- نقله عن مراجع الشيعة في أكثر من موضع والدفاع عنهم.

---

(1) مقدمة كتاب أضواء على السنة النبوية لأبي رية تحت عنوان: كلمة الدكتور طه حسين.

(2) المرجع السابق.

6- ذم المقلدين في الأصول والفروع، وانتقد طريقة تناول الحديث عند الفقهاء.

7- هاجم كعب الأحبار وتميم الداري وعبد الله بن سلام، ورجح عدم وجود شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي.

8- ولقد لاحظ الباحث في أكثر من موضع عند نقله عن بعض العلماء يمدحهم بألقاب وأسماء براقة وعند ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم لا يتبعه بالصلاة والسلام، وهذا ما حذّره منه أستاذه الأديب الكبير الرافعي قبل ذلك في إحدى رسائله، لكنه عند تأليفه نسي أو تناسى هذه الملاحظة[1] .

ولقد رد على أبي رية مجموعة من علماء أهل السنة –من علماء الأزهر ومن غيرهم– فيما صرح به في كتبه[2] وخالف فيه جماهير العلماء، **ومنهم:**

1- د. مصطفى السباعي من علماء الأزهر رحمه الله، في كتابه السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي .

2- د. محمد أبو شهبة من علماء الأزهر رحمه الله ، في كتابه دفاع عن السنة.

3- . محمد أبو زهرة من علماء الأزهر رحمه الله في كتابيه: الحديث والمحدثون، ومنزلة السنة في الإسلام .

4- د. عبد الغني عبد الخالق رحمه الله، في كتابه حجية السنة.

5- وكذلك الشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ محب الدين الخطيب وهما من علماء الأزهر في عدد من المجلات.

6- الأستاذ عبد المنعم صالح العزي المشهور باسم محمد أحمد الراشد حفظه الله، في كتابه عن أبي هريرة رضي الله عنه .

7- د. محمد عجاج الخطيب حفظه الله ، في كتابيه السنة قبل التدوين، وأبو هريرة راوية الإسلام.

8- الأستاذ امتياز أحمد في كتابه تدوين السنة.

9- د. الحسن العلمي، في كتابه: الغارة على السنة النبوية.

---

(1) راجع مقالة على موقع الألوكة 30-7-2012م تحت عنوان براءة الرافعي من أبي رية.

(2) انظر: أبو هريرة، أبو رية (ص1-30)، كذلك ورد كثير ممن رد على أبي رية في مقال: ترجمة محمود أبو رية ملتقى أهل الحديث على الانترنت.

10- الأستاذ عبد الستار الشيخ، في كتابه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

11- د. علي السالوس، في كتابه: الهجوم على السنة.

12- الشيخ محمد علي الصابوني، في كتابه مكانة السنة في التشريع.

13- الشيخ محمد عبد الرزاق حمزة مدير دار الحديث بمكة.

14- الشيخ عبد الرحمن اليماني في الأضواء الكاشفة لما في كتاب الأضواء من الزلل والتضليل والمجازفة.

وخلاصة القول؛ فإن كتابه يعتبر في نظر علماء أهل السنة فيه من التجني على السنة ورواتها، ما يعد مادة خطيرة لأعداء الأمة للطعن في الدين الإسلامي، وأصوله القويمة المتينة.

المطلب الثاني: كتاب أبو هريرة شيخ المضيرة وتقييمه

سمى أبو رية كتابه بهذا الاسم كما قال: لأن أبا هريرة رضي الله عنه كان يحب ويستطيب صنف من الطعام كان مشهوراً بين أطعمة معاوية الفاخرة[1] .

طبع هذا الكتاب ثلاث مرات، ولقد نقل الرضوي أن أبا رية أخبره بأن العالم الشيعي عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي قد أهدى أبا رية كتابه (أبو هريرة)، وكتب عليه الإهداء بخط يده، وصرح العاملي أنه كتب كتابه هذا في سنة 1943م، وعند مطالعة الكتابين كتاب أبي رية، وكتاب العاملي تجد أن كتاب أبي رية يستقي من كتاب العاملي الشيعي بنفس الأسلوب وبنقل بعض النصوص كما هي، بما يؤكد شدة تأثر أبا رية بكتاب العاملي.

ويعتبر كتاب (أبو هريرة شيخ المضيرة) كتاباً يفتقد للمصداقية وللمنهجية العلمية للأسباب التالية:

1- تهجم أبو رية على أبي هريرة رضي الله عنه تهجماً مثيراً للتعجب، ظهر فيه انحرافه عن الحيادية والموضوعية، بما جعل كتابه يهوي في مهاوي الانحطاط، وتجرأ فيه على هذا الصحابي تجرأ لا يليق بمسل؛ بل خرج عن حدود الأدب، زيادة على الانحراف في المنهج العلمي.

---

(1) مقدمة كتاب أبو هريرة شيخ المضيرة لأبي رية.

2- بدأ بأكثر من ثلاثين صفحة بالتهجم على كل من انتقدوه وخاصة الشيخ عبد الحليم محمود، ودار الحديث التي أنشأها، والشيخ محمد شهبة، ومجلة الأزهر، والشيخ السباعي.

3- كرس كل جهده في ذم شخصية أبي هريرة، ما أظهر بعده عن القصد الحسن والنية السليمة، وافتقار عباراته للأدب، جعلها بعيدة عن البيان الواضح والمنهج السليم؛ إذ إنه بيّنٌ في الإساءة لأبي هريرة رضي الله عنه بصورة فيها تحامل وحقد ومعاداة لهذا الصحابي الذي أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم خيراً، فابتدأ بأنه غير معروف النسب مختلف في اسمه، وأنه لحق بالنبي طمعاً في الأكل، وأنه لم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم إلا سنة وتسعة أشهر، وأنه مناصر لبني أمية ولمعاوية، لما كان يجد من لذيذ الطعام عندهم، والأخطر من ذلك في هذا الكتاب الطعن في رواياته، فقد أكثر من إيراد أن مرويات أبي هريرة عن أستاذه كعب الأحبار وأنها ليست أحاديث قالها النبي صلى الله عليه وسلم، وأورد كثيراً من أحاديثه وانتقدها بطريقة عقلية.

ولقد رد العلماء والمفكرون على أبي رية ومن ذلك كتاب محمد عجاج الخطيب في كتابه (أبو هريرة راوية الإسلام)، وكذلك عبدالله بن عبد العزيز بن علي الناصر في كتابه (البرهان في تبرئة أبي هريرة من البهتان)، وكتب أخرى كثيرة ومقالات كلها تبين مكانة أبا هريرة رضي الله عنه، وأخذه للحديث ودوره في إيصال العلم جزاه الله عنا خير الجزاء.

وما ذهب إليه أبو رية من أن أبا هريرة رضي الله عنه لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم طمعاً في الطعام، فهي تهمة كاذبة مخالفة لمناقب أبي هريرة التي عنون لها أهل الحديث في كتبهم، وما أوردوه من علمه، وصبره، ودعوته لله، وزهده، وحسن عبادته[1] .

وأما عن إسلامه فأكثر أهل العلم أنه كان في غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة، ومن ذلك ما أخبر به أبو هريرة عن نفسه: سَمِعْتُ قَيْسًا يَعْنِي ابْنَ أَبِي حَازِمٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: «صَحِبْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَ سِنِينَ»[2] .

---

(1) انظر: صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه (1938/4-1941) الأحاديث: 2491،2492، 2493.كذلك انظر: سنن الترمذي، الترمذي، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه (683/5-686) الأحاديث: 3834،3835، 3836، 3837، 3838، 3839، 3840، 3841.

(2) السنن الكبرى، البيهقي (510/2)، بَابُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي تَحْرِيمِ الْكَلَامِ نَاسِخًا لِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ حديث رقم: 3924

وأما إكثاره من الرواية فقد أجاب هو عن ذلك بأنه لازم النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن له تجارة أو عمل، في الوقت الذي اشتغل فيه الصحابة بمعايشهم، كما أن لبركة دعاء النبي في حديث الرداء كان له الدور الأكبر في حفظه وعدم نسيانه[1] .

وأما عن تشيعه لبني أمية وعدم محبته لعلي وبنيه فهي تهمة كاذبة، مخالفة للأدلة الصحيحة، وقد أجاب الشيخ الصلابي عن ذلك قائلاً: " ولقد أثبت عبد المنعم العزي في كتابه أقباس من مناقب أبي هريرة بالدلائل القطعية الكافية اعتداد أبناء علي رضي الله عنهم بحديث أبي هريرة، وروايتهم عنه، ورواية كبار فرسان علي وأمراء جنده، الذين قاتلوا معه في معارك الجمل وصفين والنهروان عن أبي هريرة، ورواية جمهرة من التابعين عنه ممن لاقوا علياً رضي الله عنه ورووا عنه، ورواية عدد كبير آخر من جماهير الشيعة والكوفيين ومحبي ذرية علي من طبقة أتباع التابعين والطبقة التي تليهم لحديث أبي هريرة، واستعماله له، واستدلالهم به، وتدوينه في كتبهم"[2] .

المطلب الثالث: كتاب دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل

(محمد والمسيح أخوان)

تناول أبو رية في هذا الكتاب جوانب عقدية مهمة، وله فيها آراء خطيرة تتلخص فيما يلي:

---

(1) وحديث الرداء نصه: عن الأعرج، قال: سمعت أبا هريرة، يقول: إنكم تزعمون أن أبا هريرة، يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله الموعد، كنت رجلا مسكينا، أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه مني» فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه، ثم ضممته إلي، فما نسيت شيئا سمعته منه. صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه(1939/4) حديث رقم: 2492، ولقد اختبر أبا هريرة في حفظه فكان حافظاً متقناً، فعن أبي الزعيزعة كاتب مروان بن الحكم، أن مروان «دعا أبا هريرة فأقعدني خلف السرير، وجعل يسأله، وجعلت أكتب حتى إذا كان عند رأس الحول دعا به، فأقعده وراء الحجاب، فجعل يسأله عن ذلك، فما زاد ولا نقص ولا قدم ولا أخر» علق عليه الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه " الحاكم: المستدرك على الصحيحين، باب ذكر أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه(583/3)، حديث رقم: 6164.

(2) الدولة الأموية وعوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، الصلابي (326/1).

1- بدأ كتابه بالتأسيس لفكرة توحيد الأديان، وجواز الترحم على موتى النصارى وأهل الكتاب[1]

2- أكد على أن أصول كل الديانات هي ثلاثة أصول (الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح)، وأكد على أن النصارى واليهود ليسوا كفاراً وإنما هم أهل كتاب، وأن المعنى الحقيقي للإسلام هو الاستسلام لأمر الله، ثم أتى بنصوص من القرآن وأسفاراً من التوراة والإنجيل ليؤكد على أن دعوة الرسل كلها واحدة، وأصول أديانهم واحدة[2] .

3- ذكر أن ما ورد في الإنجيل من بعض الكلمات التي تحمل عقيدة التثليث والشرك، تُؤول ولا تحمل على ظاهرها، وهي أشبه بعبارات المتصوفة التي يغلفها الإجمال، وتحتاج إلى التأويل[3] .

4- ساق تحقيقاً لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معاملة أهل الكتاب معاملة حسنة، ليدلس على القارئ أن هذا الأصل في التعامل يجعلنا على حد سواء في الدين[4] .

5- أكثر من النقل عن الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في دعوتهما للتقارب بين الأديان، وجعلها مستنده في الدعوة لتوحيد الأديان[5] .

6- أتى ببعض آيات القرآن وأولها بتأويله الخاص منها معنى" أنعمت عليهم"، ليدلل على أن الإنعام والهداية ليست خاصة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم[6] .

7- تكلم عن جمعية التقريب بين الأديان وامتدحها، ثم ختم بآية سماها "دين المستقبل" نقلاً عن الأفغاني وهي ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[7] ، وهو يقصد بذلك أنه سيأتي يوم يكون أصحاب الديانات كلهم في وحدة دينية واحدة لا فرق بينهم، ويطرحون لغة التكفير لبعضهم، وتنتهي الكراهية بينهم[8] .

---

(1) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص14-15)، ثم صرح بوحدة الأديان في (ص90-92)، كذلك (ص103-104).

(2) انظر: المرجع السابق (ص16-20)، كذلك (ص26) من نفس المرجع، وكذلك (ص74-75).

(3) انظر: المرجع نفسه (ص109-110).

(4) انظر: المرجع نفسه (ص79-80).

(5) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص82-88-92).

(6) انظر: المرجع السابق (ص81-82).

(7) البقرة: 62.

(8) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص104-105)، وذكر الآية وشرحها بشرحه الخاص (126-127).

ومواقف أبو رية في هذا الكتاب تخالف نصوص صريحة وواضحة في القرآن الكريم، سنتكلم عنها في مواضعها من هذه الرسالة، ما يجعله هو وآراؤه في موطن الشك في دينه وصحة عقيدته، خاصة وأن لغة التأويل التي يتبعها بعيدة كل البعد عن الأصول المقررة عند المسلمين، ولقد رد على أقواله كثير من العلماء وممن أفرد كتاباً مستقلاً في الرد عليه محمد الشويعر في كتابه (مواقف مع كتاب دين الله واحد).

الفصل الثاني

منهج محمود أبو رية في تقرير العقيدة

المبحث الأول
تقديم العقل على النقل

أولاً: تعريف العقل والنقل:

العقل: لغةً: العَقْلُ هو الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق، ويأتي بمعنى القلب، ويأتي بمعنى المعرفة والعلم، والفهم، والجمع والإمساك، والتمييز بين الحسن والقبح، والخير والشر(1) .

العقل اصطلاحاً: قال الشيخ أبو الحسن الأشعري: العقل هو العلم، وهو قول فريق من المتكلمين، وفريق آخر قال: بأنه: صفوة الروح، وبه قالت المعتزلة، وفرّق بعض الفلاسفة بين العقل والعلم، فقالوا: العقل جوهر مخلوق في الإنسان، وهو مركز العلوم، ولا يستفاد العقل إنما تستفاد العلوم، وكذلك نقل في كتابه في الأصول عن أهل الحق ترادف العلم والعقل قال: فقالوا: واختلاف الناس في العقول لكثرة العلوم وقلتها، وقال علي بن حمزة الطبري: نور وبصيرة في القلب منزلته البصر من العين(2) ، وقال الإمام الشافعي في حده: "هو آلة التمييز والإدراك"(3) ، وذهب الحارث المحاسبي إلى أنه: "غريزة لَا يعرف إِلَّا بفعاله فِي الْقلب والجوارح لَا يقدر أحد أَن يصفه فِي نَفسه وَلَا فِي غَيره"(4) .

وقال أبو حامد الغزالي: "وإِذَا قِيلَ: مَا حَدُّ الْعَقْلِ؟ فَلَا تَطْمَعْ فِي أَنْ تَحُدَّهُ بِحَدٍّ وَاحِدٍ فَإِنَّهُ هَوَسٌ، لِأَنَّ اسْمَ الْعَقْلِ مُشْتَرَكٌ يُطْلَقُ عَلَى عِدَّةِ مَعَانٍ، إذْ يُطْلَقُ عَلَى بَعْضِ الْعُلُومِ الضَّرُورِيَّةِ وَيُطْلَقُ عَلَى الْغَرِيزَةِ الَّتِي يَتَهَيَّأُ بِهَا الْإِنْسَانُ لِدَرْكِ الْعُلُومِ النَّظَرِيَّةِ وَيُطْلَقُ عَلَى الْعُلُومِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْ التَّجْرِبَةِ، حَتَّى إنَّ مَنْ لَمْ تُحَنِّكْهُ التَّجَارِبُ بِهَذَا الِاعْتِبَارِ لَا يُسَمَّى عَاقِلًا، وَيُطْلَقُ عَلَى مَنْ لَهُ وَقَارٌ وَهَيْبَةٌ وَسَكِينَةٌ فِي جُلُوسِهِ وَكَلَامِهِ، وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ جَمَعَ الْعَمَلَ إلَى الْعِلْم"(5) .

---

(1) وأصل مادة كلمة "عقل" تدور حول معنى الإمساك بالشَّيء وحبسه وربطه، وسُمِّي العقل عقلاً لأنَّه يعقل صاحبَه ويحبسه، ويحول بينه وبين التورط في المهالك. لسان العرب، ابن منظور باب اللام، فصل العين (ج458/11)، القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ج135/3)، العين، الفراهيدي (ج159/1)، وذكرت تعريف العقل لغةً بالتفصيل(ص12)، من هذا البحث.

(2) انظر: البحر المحيط، الزمخشري (ج117/1)، ماهية العقل واختلاف الناس فيه، الحارث المحاسبي (ص3).

(3) قواطع الأدلة في الأصول، السمعاني (ج27/1)، الأشباه والنظائر، السبكي (ج17/2).

(4) ماهية العقل، الحارث المحاسبي (ص3).

(5) المستصفى، الغزالي (ج20/1).

النقل: لغةً: النَّقْلُ: تحويلُ الشَّيْءِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلى مَوْضِعٍ، نَقَله يَنْقُلُه نَقْلًا فانْتَقَلَ، والتَّنَقُّل: التحوُّل، ونَقَّلَه تَنْقِيلًا إِذا أَكثر نَقْلَهُ، يقال: نقل الشيء أي أخذه من مكان إلى مكان[1] .

أما اصطلاحاً: فيعرف النقل على "ما ينقل من دليل أو برهان أو استشهاد من القرآن أو السنة النبوية، ونَقَلَةُ الحديث هم الذي يدونون الأحاديث وينقلونها ويسندونها إلى مصادرها"[2] .

ثانياً: إذا تعارض العقل مع النقل أيهما يقدم؟

مذهبان:

المذهب الأول: مذهب بعض المتكلمين والفلاسفة إذا تعارض النقل مع العقل؛ فيقدمون العقل على النقل، وينتمى لهذا المذهب أبو رية كما سيرد من كلامه، ويعتبرون العقل مصدراً رئيساً لمسائل العقيدة، بما في ذلك ألفاظ العقيدة ومصطلحاتها، ويقدمونه على الأدلة السمعية؛ لأنها – في نظرهم– دلائل لفظية، والدلائل اللفظية لا تفيد اليقين، ولأن العقل أصل السمع فيجب تقديمه عليه[3] .

يقول القاضي عبد الجبار: "أما الثاني وهو الكلام في أن معرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل، فلأن ما عداها فرع على معرفة الله تعالى بتوحيده وعدله، فلو استدللنا بشيء منها على الله والحال هذه، كنا مستدلين بفرع للشيء على أصله، وذلك لا يجوز "[4] .

ويظهر تقديم العقل على النقل عند المعتزلة بشكل واضح، أما عن الأشاعرة فهم يقدمون أدلة العقل على النقل في بعض المواضع التي قد يحدث فيها التعارض، وليس ذلك في كل مواضع التعارض، ومن ذلك ما قاله الرازي: "اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

1- إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل، فيلزم تصديق النقيضين وهو محال.

2- وإما أن نبطلهما، فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال.

---

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور باب النون فصل اللام (ج674/11)، العين، الفراهيدي (ج168/5).

(2) العقل والنقل عند ابن رشد، محمد بن أمان جامي (ص77).

(3) انظر: المطالب العالية، الرازي (ج113/9 – 114)، كذلك كتابه أساس التقديس للرازي (ص 118)، المواقف، عضد الدين الإيجي (ص40).

(4) شرح الأصول الخمسة، القاضي عبد الجبار (ص 88).

3- وإما أن تكذب الظواهر النقلية وتصدق الظواهر العقلية.

4- وإما أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل، لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية، إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية: إثبات الصانع، وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم، وظهور المعجزات على يد محمد صلى الله عليه وسلم، ولو صار القدح في الدلائل العقلية القطعية، صار العقل متهماً، غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج عن أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول، خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، وأن القدح في العقل لتصحيح النقل، يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً، وإنه باطل، ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية، القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها، ثم إن جوزنا التأويل: اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم تجوز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات"[1] .

المذهب الثاني: مذهب جمهور أهل السنة:

إذا تعارض النقل والعقل، وجب تقديم النقل، لأن العقل مصدق للنقل في كل ما أخبر به، والنقل لم يصدق العقل في كل ما أخبر به، ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل، فالواجب رد ما اشتبه إلى نصوص الكتاب والسنة، ولا يعترض عليها بالشكوك والشبه والتأويلات الفاسدة، أو بقول من يقول العقل يشهد بضد ما دل عليه النقل، والعقل أصل النقل، فإذا عارضه قدمنا العقل، وهذا لا يكون قط، لكن إذا جاء ما يوهم مثل ذلك، فإن كان النقل صحيحاً فذلك الذي يدعي أنه معقول إنما هو مجهول، ولو حقق النظر لظهر ذلك، وإن كان النقل غير صحيح، فلا يصلح للمعارضة، فلا يتصور أن يتعارض عقل صريح ونقل صحيح أبداً.

وهذا الرأي الراجح بأن النقل مقدم على العقل لقوة الأدلة الدالة على ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إذا تعارض العقل والنقل وجب تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع للنقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم، فلو أبطلنا النقل

---

(1) أساس التقديس، الرازي (ص 118).

لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضاً للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجباً عدم تقديمه، فلا يجوز تقديمه، وهذا بين واضح، فإن العقل هو الذي دل على صدق السمع وصحته، وأن خبره مطابق لمخبره، فإن جاز أن تكون الدلالة باطلة لبطلان النقل لزم أن لا يكون العقل دليلاً صحيحاً، وإذا لم يكن دليلاً صحيحاً لم يلزم أن يتبع بحال، فضلاً عن أن يقدم، فصار تقديم العقل على النقل قدحاً في العقل"[1] .

ثالثاً: منهج أبي رية في تقديم العقل على النقل: نجده واضحاً في مواطن كثيرة، منها:

1- قوله: "ونأتي هنا بكلمة قيمة من كتاب (وجهة الإسلام) الذي ترجمه الأستاذ محمد عبد الهادي أبو ريدة منقولة عن كتاب (روح الإسلام) الذي ألفه سيد أمير علي للدفاع عن الإسلام؛ ما نصه: إن الإصلاح يجب أن يسبقه التعليم وتحرر العقل من القيود، وبجب أن نطرح التمسك بالظواهر تمسكاً صورياً، لأنه أصبح عديم الأثر، وبجب أن تكون أحكامنا صادرة عن استعمال العقل، وعما نستشعر أنه حق وملائم في ظرف ما قدرة على صيغ ما عداه بصيغته وسيبقى جوهره وإن تغير مظهره، ولو أن الأئمة كانوا أحراراً في استعمال رأيهم ونبذوا بشجاعة خمسمائة ألف من الأحاديث واستبقوا منها ثمانية آلاف إذاً لجعلنا لأنفسنا مثل هذه الحرية، ولماذا يظن إنسان أن الإسلام صار مسبوكاً في قالب لا يتغير بعد الإجماع على الكتب الستة"[2] .

2- طعنه المتكرر في أحاديث صحيحة وتوجيهه لردها بالعقل، ومن ذلك حديث: «نخس الشيطان لابن آدم حين يولد»[3] ، فتعجب من هذا الحديث ورده ثم وجه رده له بما نقله عن الرازي من توجيه عقلي: إنما قلنا أن هذا الحديث على خلاف الدليل لوجوه، أحدها: أن الشيطان إنما يدعو إلى الشر من يعرف الخير والشر والصبي ليس كذلك، الثاني: أن الشيطان لو تمكن من هذا النخس لفعل أكثر من ذلك، من إهلاك الصالحين وإفساد

---

(1) درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية (ج170/1-171).

(2) أضواء على السنة، أبو رية (ص166).

(3) والحديث كاملاً: قال أبو هريرة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخا من مس الشيطان، غير مريم وابنها» ثم يقول أبو هريرة: {وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم} [آل عمران: 36]، صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى {واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا} (ج164/4)، حديث رقم: 3431.

أحوالهم، الثالث: لم خص من هذا النخس مريم وابنها عليهما السلام دون سائر الأنبياء، الرابع: أن ذلك النخس لو وجد بقي أثره، ولو بقي أثره لدام الصراخ والبكاء، فلما لم يكن ذلك علمنا بطلانه[1].

3- وكذلك رده لحديث سجود الشمس تحت العرش[2] ؛ وعلل ذلك بمخالفته للعقل، والكثير من الأحاديث ردها بمنهج عقلي، سيتضح معنا أكثر في موضعه في الفصل الثالث من هذا البحث، بما يظهر أنه يقدم العقل على النقل.

رابعاً: الرد عليهم في تقديم العقل على النقل في حال التعارض:

إن تقديم العقل على النقل في حال التعارض انحراف عن دين الله وفساد وهو باطل من عدة وجوه[3] :

1- أن الله تعالى أمرنا باتباع كتابه وسنة نبيه ولم يأمرنا باتباع العقل.

2- من قدم العقل على الشرع أو قيد قبوله للشرع بموافقة العقل فقد افترى على الله عز وجل وقيد كلام الله وأمره بقيد من عند نفسه.

3- أن تقديم العقل على النقل يؤدي إلى إبطال الشرع، وذلك أن العقول متفاوتة متباينة، وأصحابها أكثر الناس اختلافا، فيؤدي ذلك إلى أن كل صاحب مذهب منحرف وهدف سيئ يدعي أن الشرع مخالف لعقله فيبطل الشرع وتندرس معالمه.

4- أن من زعم أنه لا يقبل الشرع إلا إذا وافقه العقل فيه شبه من إبليس حيث رد الأمر بما يرى أنه حجة عقلية، فقد أمره الله تعالى بالسجود، فاحتج على ذلك بأنه خير من المسجود له لأنه خلق من نار وآدم خلق من طين فعارض الأمر بعقله فاستحق اللعن والإبعاد من رحمة الله، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**

---

(1) انظر: أضواء على السنة، أبو رية (ص161).

(2) عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿**وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ**﴾ [يس: 38] ". صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان(ج107/4) حديث رقم: 3199.

(3) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن المحمود (ج835/2-836)، أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود الخلف (ص25).

(28) فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ (29) فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (30) إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (31) قالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (32) قالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (33) قالَ فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (34)﴾ [1] .

5- إن الإيمان لا يثبت في القلب إلا بالتسليم والاستسلام للشرع، أما معارضته بالشبه العقلية وعرضه عليها فإن ذلك مورث للشك والحيرة، وهذا أمر معلوم مجرب، وقد صرح به كبار أئمة الكلام، حيث أكدوا أنهم قد أوقعوا أنفسهم في الحيرة والشك، الذي نسأل الله العافية لا مخرج منه، وذلك لأنهم قد هدموا يقينهم، وخلخلوا عقيدتهم بالشبه العقلية والمناهج الفلسفية.

---

(1) الحجر: 28-34.

المبحث الثاني
التشكيك في صحة نقل السنة

تعريف السنة لغةً واصطلاحاً:

السنة لغةً: من سن يسن سناً، فهو مسنون، وسن الأمر: بينه، وهي تأتي لعدة معانٍ[1] ، منها: الطريقة المسلوكة، سواء أكانت محمود أم مذمومة "، السيرة، وسنة رسول الله –صلى الله عليه وسلم: سيرته التي كان يتحراها، والأصل منها: السيرة والطريقة"[2] .

تعريف السنة في الاصطلاح:

والسنة عند المحدثين مرادفة للحديث، فهما "كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية"[3] .

وعند الأصوليين: "ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فعله، أو قرر عليه"[4] .

ومعنى السنة في عرف كثير من السلف مقابل للبدعة، فيقصدون بالسنة موافقة الكتاب وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام؛ فيقال: فلان على السنة؛ إذا كان عمله موافقًا للكتاب والسنة، وعمل السلف، وفلان على البدعة إذ كان عمله مخالفًا للكتاب والسنة[5] .

وبهذا يتبين لنا أن السنة والحديث وإن كانا بمعنى واحد عند المحدثين لكنهما عند غيرهم ليسا كذلك، ولا سيما عند السلف الذين يطلقون السنة في مقابل البدعة فتشمل الكتاب والسنة والشريعة، وليس ذلك لـ "الحديث"؛ فالحديث إذن مصطلح علمي فني أضيق من "السنة".

وعلى هذا فهنالك فرق بين مصطلح "أهل السنة" و"أهل الحديث"، وإن عبر بأحدهما عن الآخر في أبواب الاعتقاد لما بينهما من التقارب في الغالب؛ وإلا فقد يكون المرء من أهل السنة، وليس من أهل الحديث من الناحية الصناعية؛ أي: ليس بمحدث[6] .

---

(1) لسان العرب، ابن منظور (ج13/ 220–228)، الرازي: مختار الصحاح (ص317)، التعريفات، الجرجاني (ص161).

(2) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير (ج2/ 409).

(3) السنة النبوية ومكانتها من التشريع، السباعي (ص47)، علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، حمزة المليباري (ص8).

(4) البحر المحيط، الزمخشري (ج6/6)، مذكرة في أصول الفقه، الشنقيطي (ص95).

(5) انظر: البحر المحيط، الزمخشري (ج6/5).

(6) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق (رسالة دكتوراه)، محمد عبد الله (ص117–118).

وقد يكون المرء من أهل الحديث صناعة وليس هو من أهل السنة فقد يكون مبتدعًا؛ ولذلك قال عبد الرحمن بن مهدي: "الناس على وجوه؛ فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث؛ فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري"[1] .

ثانياً: تشكيك أبو رية في السنة النبوية المطهرة:

تمثل تشكيك أبو رية في السنة بشكل واضح في ثلاثة محاور حاول أن يدعمها بأدلة؛ لكن كانت أدلته عقلية بالدرجة الأولى تناقض الأدلة الشرعية الصحيحة، والمحاور الثلاثة هي:

المحور الأول: تشكيكه في السنة القولية بتغيير الصحابة لألفاظ الحديث–حسب زعمه–، وادعائه أن عدم كتابة الحديث أدت إلى كثرة الكذب والتدليس والتغيير.

ومن الأمثلة التي استدل بها:

أنه أكثر من التنظير والتمهيد والاستشهاد لتدعيم وجهة نظره في أن السنة التي وصلتنا ليست هي التي قالها النبي صلى الله عليه وسلم، ومن المواضع الواضحة في تنظيره لرأيه، ما جاء تحت عنوان: كيف روي الحديث بعد نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن كتابته؟ فأخذ يكيل الاتهامات للصحابة، وللأحاديث بأنها ليست بنفس ألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يحسب الذين لا خبرة لهم بالعلم، ولا علم لهم بالخبرة، أن أحاديث الرسول التي يقرؤونها في الكتب، أو يسمعونها ممن يحدثون بها، قد جاءت صحيحة المبنى، محكمة التأليف، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق النبي صلى الله عليه وسلم بها بلا تحريف فيها ولا تبديل... ورواة الحديث ليسوا نوعاً خاصاً من بني آدم، وأذهانهم وحفظهم يتفاوت، وفهم مشايخ الدين الذي أوصلوه للناس هو أساس الخطأ[2] .

المحور الثاني: تشكيكه في رواة الحديث، ومن أهم من طعن فيهم وفي عدالتهم أبو هريرة رضي الله عنه، وكعب الأحبار.

ومن الأمثلة التي استدل بها:

بدأ أبو رية مباحث كتابه الأضواء بهذه العناوين: (تفاوت الصحابة في صدق الرواية فبعضهم أصدق من بعض)، (رواية الصحابة بعضهم عن بعض وروايتهم عن التابعين)، (نقد

---

(1) شرح أصول السنة، اللالكائي (ج1/ 63).

(2) انظر: أضواء على السنة، أبو رية (ص49).

الصحابة بعضهم بعضاً) [1] ، وأراد من هذه العناوين وما كتب تحتها إثبات عدم عدالة كل الصحابة، والقدح في بعضهم، ثم أخذ يكيل التهم لأبي هريرة رضي الله عنه ولكعب الأحبار، ومن أوضح هذه المواضع التي هاجم فيها أبا هريرة: "وأما أبو هريرة فلكي يعلو شأنه بين الأنام، وبخاصة في نظر بنى أمية، وبذلك ينال مآربه الدنيوية بعد أن أصبح التلميذ الأول للكاهن اليهودي الماكر، وأنه أعلم الناس بما في التوراة بعد أن تلقى علم النبي صلى الله عليه وآله، وأسراره في ثوبه وأجربته، وأصبح أعلم الناس بأحاديثه، وهكذا تحيط بنا الإسرائيليات وغيرها من كل جانب، والمسلمون يصدقون، والحشوية يؤيدون، وأعداء الإسلام يضحكون، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[2] .

المحور الثالث: تضعيفه ورده لأحاديث كثيرة صحيحة لمخالفتها لتصوره العقلي.

ومن الأمثلة التي استدل بها: تضعيفه ورده لأحاديث صحيحة لمخالفتها لتصوره العقلي:

قوله: "وإذا كان تاريخ أبي هريرة رضي الله عنه قد حمل ما حمل من العجائب مما قد يمكن السكوت عليه، وغض النظر عنه، فإن هذه الغرائب الثلاث المضحكة –يقصد حديث بسط الثوب، وحديث الوعاءين، وحديث المزود[3] – لتثير أعظم الدهش، وأشد العجب إذ لا

---

(1) انظر: أضواء على السنة، أبو رية (ص43).

(2) أبو هريرة، أبو رية (ص102).

(3) وحديث بسط الثوب صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم (ج35/1) حديث رقم: 119، ونصه: «عن أبي هريرة، قال: قلت: يا رسول الله، إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه؟ قال: «ابسط رداءك» فبسطته، قال: فغرف بيديه، ثم قال: «ضمه» فضممته، فما نسيت شيئا بعده. حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا ابن أبي فديك بهذا أو قال: غرف بيده فيه».

- وحديث الوعاءين صحيح البخاري، البخاري، كتاب العلم، باب حفظ العلم (ج35/1)، حديث رقم:120، ونصه: «عن أبي هريرة قال: "حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين: فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم».
- وحديث المزود سنن الترمذي، الترمذي، باب مناقب أبي هريرة رضي الله عنه (ج685/5) حديث رقم: 3839، قال عنه الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة وعلق عليه الألباني: حسن الإسناد.، ونص الحديث: عن أبي هريرة، قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم بتمرات، فقلت: يا رسول الله ادع الله فيهن بالبركة فضمهن ثم دعا لي فيهن بالبركة. فقال لي: " خذهن واجعلهن في مزودك هذا، أو في هذا المزود، كلما أردت أن تأخذ منه شيئا فأدخل يدك فيه فخذه ولا تنثره نثرا، فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله، فكنا نأكل منه ونطعم، وكان لا يفارق حقوي حتى كان يوم قتل عثمان فإنه انقطع».

يمكن أن يصدقها أي عقل؛ إلا إذا كان متعغفناً، ومن أجل ذلك لا يمكنا أن نسكت عليها، ومن العجيب المذهل أن هذه الغرائب –أو الخرافات– قد اتخذت سبيلها في التاريخ الإسلامي من لدن تدوينه إلى اليوم، وتمكنت من عقول جمهور المسلمين وأفكارهم، لتفعل فعلها مطمئنة، فلا يتكلم أحد فيها، ولا يقف باحث عندها، ويقولون كيف نصدقها، والذي صاغها صحابي جليل، وكل ما يأتي به أي صحابي فهو صحيح لا ريب فيه، وإذا كانت هذه القاعدة العقيمة التي أضحكت الناس علينا قد أوجبها التقليد والجمود من قبل، فإنها قد أضحت الآن مما لا يمكن بأي حال أن تتبع، وبخاصة أن وراء مثل هذه الخرافات أمراً خطيراً يجب الالتفات إليه، ووضعه موضع الاعتبار، ذلك أن هذه الخرافات ومثيلاتها مما يرويه أبو هريرة أو غيره متصلة كلها بشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بدينه، فإقرارها أو السكوت عليها مما يسوء – ولا ريب– مقام النبي، ويجلب النقد إلى دينه، وقد أصبح للناس عقول يفهمون بها، وعلوم يزنون بموازينها، وإن التغاضي عن مثل هذه الخرافات ليدع للناس أن يقولوا: إن هذا الرسول يأتي بالخرافات، وإن دينه مبنى على الترهات، على حين أنه صلوات الله عليه ما بعث إلا لهدم الخرافات، والأوهام واقتلاعها من الأساس، وأتى بدين أساسه العقل السليم والفكر الصحيح، وإنا إذ نذكر ما نذكر، والأسى يملأ جوانحنا، لنرجو أن يكون قد آن لعلماء المسلمين المثقفين، أن يمحصوا تاريخهم، ويطهروا دينهم مما شابه من الخرافات، وما غشيه من الترهات، حتى يبدو للناس على نور العلم والعقل، كما أراد الله في أصدق صورة وأروعها"[1] .

ثالثاً: الرد على أبي رية في تشكيكه في السنة النبوية:

ولقد رد الدكتور السباعي في كتابه (السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي) ردا وافياً على كل ما ادعاه أبو رية في حق السنة ورواة السنة وكذلك رد على منهجه العقلي، وكذلك الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني في كتابه الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة.

ومما ذكره الدكتور السباعي في الرد على منهج أبي رية وعلى طعنه في السنة ورواتها: قوله: "وقد تصفحت كتابه، فرأيت مصادره الأصلية في كل ما خرج به على رأي جمهور المُحَقِّقِينَ من علماء السلف والخلف، لا تتعدى المصادر التالية: آراء أئمة الاعتزال وغلاة

(1) كتاب أبو هريرة رضي الله عنه، أبو رية (ص228).

الشيعة والمستشرقين"[1] ، ثم ذكر السباعي مجموعة كبيرة من المصادر التي رجع إليها أبو رية وهي كتب للمستشرقين مما يدلل على تأثره الشديد بهم، ووضح أن أبا رية لم يكن منهجه العلمي إلا حكايات من كتب الأدب، وأهواء دفينة للمؤلف.

فقال السباعي: "وأما الحكايات التي نقلها أَبُو رَيَّةَ من بعض كتب الأدب، فهي أغرب ما رأيناه في دعوى التحقيق العلمي، إن أَبَا رَيَّةَ يرفض كل ما رواه أئمة الحديث المُتَثَبِّتُونَ وأئمة الفقه المجتهدون، من حقائق لا تعجبه، ثم يأتي إلى كتب لم تؤلف لتاريخ الرجال، ولم تصنف للتحقيق في سيرتهم وأحوالهم، وإنما ألفت لجمع النوادر والحكايات التي يتفكه بها الناس في مجالسهم، ويتزيدون بما شاعت لهم أهواؤهم وخيالاتهم، يأتي إلى هذه الكتب فيستخرج من حكاياتها الأدلة والشواهد لدعوى خطيرة تذهب بكيان السُنّةِ كلها إن صحت، فهل هذا هو سبيل التحقيق العلمي إلا أن يكون على سُنَّةِ جولدتسيهر وهو المستشرق الذي يُكَذِّبُ ما جاء في "موطأ مالك"، ويؤيد ما جاء في (حياة الحيوان) للدميري؟!"[2] .

وفي رده على منهجه العقلي قال السباعي:

"ما هو العقل الصريح الذي يريده أَبُو رَيَّةَ؟ وما حدوده، وما مدى الاتفاق عليه؟ فإن قصد ما يقبله العقل بداهة فإن علماء الحديث ردوا أحاديث كثيرة مما خالفت العقل بداهة أو الطب أو غيره، وإن قصد استغراب العقل للشيء فإن هذا أمر نسبي مما لا يضبطه ضابط العقل، والأحاديث التي صَحَّحَهَا علماؤنا -رَحِمَهُمْ اللهُ- ليس فيها ما يرفضه العقل أو يحيله لأنها إما أن تتعلق بأمور العقيدة، وهذه يجب أن تتفق مع القرآن[3] ، وقد قلنا بأننا نقطع أن ليس في القرآن شيء يحكم العقل بفساده أو بطلانه أو استحالته، وإما أن تتعلق بالأحكام

---

(1) السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي، السباعي (ص6).

(2) المرجع السابق (ص27).

(3) وهنا يمكن أن أستدرك على الشيخ السباعي مسألة وهي: من الممكن أن تأتي السنَّة بمسائل عقديَّة لم يأت بها القرآن، كمسألة يوم يكشف عن ساق، حيث جزم حديث أبي سعيد أنَّها ساق الله تعالى، والحديث نصه: «عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقا واحدا». صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب يوم يكشف عن ساق (ج159/6) حديث رقم: 4919، وصحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية (ج167/1)، حديث رقم:183، وكمسألة : أنَّ أوَّلَ المخلوقاتِ لم يكن بشَرًا، كما في حديثِ عُبادةَ: سَمِعتُ رَسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يقولُ: «إنَّ أوَّلَ ما خَلَق اللهُ: القَلَمُ، فقال له: اكتُبْ...» سنن الترمذي، الترمذي، أبواب القدر، باب ما جاء في الرضا بالقضاء (ج457/4) حديث رقم: 2155.

الشرعية من عبادات ومعاملات وآداب وغيرها، وليس في حديث من هذه الأحاديث التي صَحَّحَهَا علماؤنا ما يرفضه العقل أو يحكم باستحالته، وإما أن تكون أخباراً عن الأمم الماضية، أو أخباراً عن عالم الغيب مِمَّا لا يقع تحت النظر كشؤون السماوات والحشر والجنة والنار، وهذه ليس فيها ما يحكم العقل ببطلانه، وقد يكون فيها ما لا يدركه العقل فيستغربه"[1] .

ثم أكمل قائلاً: للنظر إلى المسألة من ناحية أخرى:

لنفرض أن تحكيم العقل في الأحاديث هو الصواب، فنحن نسأل: أي عقل هذا الذي تريدون أن تُحَكِّمُوهُ؟ أعقل الفلاسفة؟ إنهم مختلفون، وما من متأخر منهم إلا وهو ينقض قول من سبقه.

أعقل الأدباء؟ إنه ليس من شأنهم، فإن عنايتهم – عَفَا اللهُ عَنْهُمْ – بالنوادر والحكايات.

أعقل علماء الطب، أو الهندسة، أو الرياضيات؟ أم المحدثون أم غيرهم، إن العقل الذي يريده أبو رية هو عقل المعتزلة ثم أخذ ينقض مذهبهم[2] .

(1) السنة ومكانتها من التشريع الإسلامي، السباعي (ص33-34).

(2) انظر: المرجع السابق (ص39).

المبحث الثالث

الدعوة إلى التحرر وعدم التمذهب

(الاجتهاد وعدم التقليد)

أولاً: تعريف الاجتهاد والتقليد:

إن الدعوة إلى التحرر وعدم التمذهب تعني الاجتهاد وعدم التقليد من الناحية الأصولية، وسيذكر الباحث تعريف الاجتهاد والتقليد وموقف أبو رية منهما في الأصول والفروع، ثم نتعرف على مدى موافقته لأهل السنة في ذلك.

الاجتهاد لغةً: من جهد: بمعنى بذل الوسع والطاقة، وبلوغُكَ غايةَ الأمرِ الّذي لا تألو عن الجهد فيه، تقول: جَهَدْتُ جَهْدي، واجتهدتُ رأيي ونفسي حتّى بلغتُ مجهودي[1] .

الاجتهاد اصطلاحاً: ويعني بذل الجهد والوسع للوصول إلى الأحكام الشرعية[2] ، وهذا يكون بالنظر في المصادر الشرعية والأدلة مع عدم الاكتفاء بالأخذ من عالم أو مذهب معين دون عناء البحث.

أما التقليد: لغةً: بمعنى الجمع يقال قَلَدَ الماء أي جمعه، والشيء على الشيء لواه، والقلادة التي توضع في العنق، والإقليد المفتاح[3] .

واصطلاحاً: الأخذ عن عالم أو مفتي والتزام مذهبه دون معرفة الأدلة[4] .

وأكثر العلماء على أنه لا يجوز التقليد في العقائد وإنما التقليد في الفروع، ومنهم من يجيزه في العقائد والفروع، ومنهم من يرفضه في العقائد والفروع، وإذا تتبعنا التقليد من الناحية العملية نجد أن الذي يقلد تماماً هم العوام، أما العلماء فإن لهم نظر في الفروع حتى وإن التزموا مذهباً معيناً[5] فمنهم من يوافق إمام مذهبه، أو يستدرك عليه، أو يخالفه في بعض الجزئيات،

---

(1) انظر: لسان العرب، ابن منظور، باب الدال فصل الجيم (ج135/3)، الفراهيدي: العين(ج386/3).

(2) انظر: الإحكام، الآمدي (ج162/4)، المدخل، ابن بدران (ص367).

(3) انظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ص312)، تاج العروس، الزبيدي (ج64/9).

(4) انظر: شرح الكوكب المنير، ابن النجار (ج531/4)، الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات، المارديني (ص249).

(5) انظر: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، الشوكاني (ص27).

لذلك كان هناك ما يسمى عند الفقهاء بالمجتهد المطلق، ومجتهد مقيد في مذهب إمامه أو من أصحاب الوجوه[1] .

ثانياً: موقف أبو رية من التحرر من المذاهب:

لقد كان لأبي رية موقفاً واضحاً من رفضه للتمذهب، سواء في الأصول أو في الفروع، وهذا ما أكده مراراً وتكراراً، ومن ذلك ما ذكره في كتاب(أبو هريرة): "أما المقلدون فحسبك ما ذكره حافظ المغرب ابن عبد البر في وصفهم في كتابه (جامع بيان العلم وفضله)، إذ يقول: قال عبيد الله بن المعتز: لا فرق بين بهيمة تقاد وإنسان يقلد[2] ، وقال هو وغيره من كبار الأئمة: أجمع الناس على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله، وقال ابن القيم تعليقاً على هذا القول: قد تضمن هذان الإجماعان اطراح المتعصب بالهوى، والمقلد الأعمى من زمرة العلماء وأسقطوهما باستكمال من فوقهما الفروض من وراثة الأنبياء، وقال الأصفهاني في كتابه(أطباق الذهب): مثل المقلد بين يدي المحقق مثل الضرير بين يدي البصير المحدق، ومثل الحكيم والحشوي كالميتة والمشوي، أقنعه رواية الرواية عن در الدراية، وما أشقى جهالاً قلدوا آباءهم فهم على آثارهم مقتدون، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون، وقال العلماء: المقلدون للمذاهب المتعصبون لها لا يعدون من العلماء حقيقة وإن عدوا عرفاً، وكان السلف يعبرون عن المقلد بالجاهل مهما اشتغل بالعلم، لأن العالم من كان مستقلاً في فهمه للعلم واستدلاله على مسائله"[3] .

وهو يؤكد على أنه لا يقلد في الفروع أيضاً، مع سوء أدبه في التعبير؛ فيقول عندما سأله مرتضى الرضوي: بأي مذهب من المذاهب الأربعة متمسك، فأجاب: أنا مسلم أعمل بكتاب الله وسنة نبيه، وأنا غير ملتزم بمذهب من هذه المذاهب الأربعة، وقال: أنا أعلم من الشافعي، وأبي حنيفة[4] .

---

(1) انظر: المحصول، ابن العربي (ص154)، الإحكام، الآمدي (ج204/4)، عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، الدهلوي (ص5).

(2) ولو كان أبو رية منصفاً أميناً في النقل لما أسقط قول ابن عبد البر: "وهذا كله لغير العامة فإن العامة لا بد لها من تقليد علمائها عند النازلة تنزل بها لأنها لا تتبين موقع الحجة ولا تصل بعدم الفهم إلى علم ذلك لأن العلم درجات لا سبيل منها إلى أعلاها إلا بنيل أسفلها وهذا هو الحائل بين العامة وبين طلب الحجة" كتاب جامع بيان العلم وفضله، القرطبي (ج990/2).

(3) أبو هريرة، أبو رية (ص25).

(4) انظر: مع رجال الفكر في القاهرة، الرضوي (ج132/1).

ولا أدري بأي دليل قد استدل، وعلى أي شيء قد استند في أنه أعلم من أبي حنيفة والشافعي رحمهما الله؟!

وهل العالم النحرير يخالف صريح القرآن؛ فيزكي نفسه مخالفاً لقول الله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى (32)﴾** [1] .

ثالثاً: مدى موافقة أبي رية لعلماء أهل السنة:

وموقفه من التقليد لا يخرج عن أحد مذاهب علماء أهل السنة وإن لم يكن راجحاً في ذم التقليد وعدم الأخذ به في الأصول والفروع، ولكنه وبكل تأكيد يخرج عن موقف علماء أهل السنة من حيث توقيرهم للعلماء، وبالأخص أكابر العلماء كأبي حنيفة، والشافعي رحمهما الله، لما فيه من التعالي والتباهي وادعاء أنه أعلم من أبي حنيفة والشافعي، وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تعلم العلم ليباهي به العلماء، ويجاري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله جهنم»[2] .

---

(1) النجم: 32.

(2) سنن ابن ماجه، ابن ماجه، كتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب الانتفاع بالعلم والعمل به(ج96/1) حديث رقم: 260 قال عنه الألباني: حسن، المعجم الأوسط، الطبراوي، باب من اسمه محمد(ج32/6) حديث رقم: 5708.

المبحث الرابع

موقفه من الاستدلال بالإسرائيليات

أولاً: المقصود بالإسرائيليات:

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، والنسبة في مثل هذا تكون لعجُز المركب الإضافي لا لصدره، وإسرائيل هو: يعقوب عليه السلام أي عبد الله، وبنو إسرائيل هم: أبناء يعقوب، ومن تناسلوا منهم فيما بعد، إلى عهد موسى ومن جاء بعده من الأنبياء، حتى عهد عيسى عليه السلام وحتى عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عرفوا "باليهود" أو بـ "يهود" من قديم الزمان، أما من آمنوا بعيسى: فقد أصبحوا يطلق عليهم اسم "النصارى" وأما من آمن بخاتم الأنبياء: فقد أصبح في عداد المسلمين، ويعرف أولئك بمسلمي أهل الكتاب(1) .

من أين وفدت الاسرائيليات إلى كتب المسلمين؟

لليهود بجانب التوراة المكتوبة التلمود، وهي التوراة الشفهية، وهو مجموعة قواعد ووصايا وشرائع دينية وأدبية، ومدنية وشروح وتفاسير وتعاليم وروايات كانت تتناقل وتدرس شفهياً من حين إلى آخر، وقد اتسع نطاق الدرس والتعليم فيه إلى درجة عظيمة جداً، حتى صار من الصعب حفظه في الذاكرة، ولأجل دوام المطالعة، والمداولة، وحفظا للأقوال والنصوص، والآراء الأصلية المتعددة والترتيبات، والعادات الحديثة، وخوفاً من نسيانها وفقدانها مع مرور الزمن، وخصوصاً وقت الاضطهادات، والاضطرابات، قد دونها كبار رجال الدين بالكتابة سياجاً للتوراة، وقُبِلَت كسنة من سيدنا موسى عليه السلام، ومن التوراة وشروحها، والأسفار وما اشتملت عليه، والتلمود وشروحه، والأساطير والخرافات، والأباطيل التي افتروها، أو تناقلوها عن غيرهم كانت معارف اليهود وثقافتهم، وهذه كلها كانت المنابع الأصلية للإسرائيليات التي زخرت بها بعض كتب التفسير، والتاريخ والقصص والمواعظ، وهذه المنابع إن كان فيها حق، ففيها باطل كثير، وقد يتوسع بعض الباحثين في الإسرائيليات، فيجعلها شاملة لما كان من معارف اليهود، وما كان من معارف النصارى التي تدور حول الأناجيل وشروحها، والرسل وسيرهم ونحو ذلك؛ وإنما سميت إسرائيليات لأن الغالب والكثير منها إنما هو من ثقافة بني إسرائيل، أو من كتبهم ومعارفهم، أو من أساطيرهم وأباطيلهم، والحق أن ما في كتب التفسير من المسيحيات أو من النصرانيات هو شيء قليل بالنسبة إلى ما فيها من الإسرائيليات، ولا يكاد يذكر بجانبها، وليس

---

(1) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة (ص12).

لها من الآثار السيئة ما للإسرائيليات؛ إذ معظمها في الأخلاق، والمواعظ، وتهذيب النفوس، وترقيق القلوب[1] .

ثم اتسعت رواية الإسرائيليات لدخول كثير من أهل الكتاب في الإسلام وكان عندهم علم من الكتاب لاقى نفوساً متفتحة لسماع تفاصيل أخبار القرآن وقصصه، فزجت طائفة منهم في التفسير بكثير من تلك الأخبار دون تحرٍّ لصحة أو تحقق لخبر، وكثرت الاختلافات والأقوال في تفسيرهم للآية الواحدة، بل للكلمة الواحدة، ومن جهة أخرى اتسع نطاق التفسير فشمل آيات لم يشملها في الفترة السابقة؛ وذلك لدخول أمم أعجمية وأشخاص لم يعارضوا نزول الآيات وأسبابها، فكانت حاجة هؤلاء وأولئك ماسة لأن يبين لهم ما لم يبين من قبل فاتسع بهذا مجال التفسير عمقاً ومساحة[2] .

ثانياً: حكم التحديث بالإسرائيليات:

أحدها: ما علمنا صحته فجاء في شرعنا ما يؤيده، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه فجاء في شرعنا ما يخالفه، وهذا يجب تركه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه فلم يأت في شرعنا ما يؤيده أو يخالفه، فلا نؤمن به ولا نكذبه، ومن العلماء من أجاز روايته ومنهم من لم يجزه[3] ، والصحيح جواز التحديث بهذا القسم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ فحيث جازت حكايته على ما قاله، فالأولى رواية ما كان من القسم الأول أو الثالث عن نص كتبهم، كما هو مذهب عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، كما نقله ابن كثير، والذهبي والسيوطيّ[4] .

ولقد روى البخاريّ عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار»[5] .

---

(1) انظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، أبو شهبة (ص13-14).

(2) انظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي (ج30/1).

(3) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة مؤلفين (ص296).

(4) انظر: محاسن التأويل، القاسمي (ج34/1).

(5) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل(ج170/4)، حديث رقم: 3461، ومسند أحمد، أحمد (ج125/16) حديث رقم:10130، علق عليه الشيخ الأرنؤوط: صحيح لغيره.

ثالثاً: موقف أبو رية من الاسرائيليات:

يعد موقف أبي رية من الإسرائيليات موقفاً متناقضاً، فبينما يشنع على أبي هريرة رضي الله عنه في أنه يستقي من الاسرائيليات وشيخه كعب الأحبار، وأن هذه الروايات أفسدت علينا ديننا، وفي نفس الوقت يستشهد هو من التوراة والإنجيل على سبيل إقرار أن أصل العقيدة واحد وأن النصارى واليهود ليسوا كفاراً، فما أغرب مواقف هذا الرجل، وما ألطفه مع اليهود والنصارى، وما أغلظه على الصحابة رضي الله عنهم.

والأمثلة على ذلك:

لقد أكد أبو رية عدم جواز الأخذ بالإسرائيليات في كتابه الأضواء تحت عنوان: هل يجوز رواية الإسرائيليات؟، فقال: "نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ المسلمون على أهل الكتاب أمراً يخالف أصول دين الله وأحكامه وآدابه، وكان يغضب أشد الغضب إذا رأى أحداً ينقل عنهم شيئاً[1] ، ثم جاء بالأحاديث التي تؤيد وجهته في رفض الإسرائيليات.

ثم حمل حملة كبيرة على كعب الأحبار ونقل بعض روايات الصحابة في تكذيبه، ثم جاء بعنوان دور الإسرائيليات في تفضيل المسجد الأقصى وبلاد الشام، ثم ذكر عنوان قول العلماء المحققين في الاسرائيليات ونقل عن ابن تيمية رحمه الله، ودار كل كلامه على أن الإسرائيليات لا يصح منها شيء وأن هدفها الكيد للإسلام وأهله وأنها من الدهاء السياسي عند اليهود[2] .

ونقل أبو رية في كتابه (أبو هريرة) مؤكداً على رفض كل ما جاء عن كعب الأحبار: "لقد أقحموا في كتيبهم هذا بغير ما مناسبة حديثاً رواه البخاري عن أبي هريرة، واعتبروه صحيحاً ما دام البخاري قد رواه، ونصه: «من عادى لي وليا فقه آذنته بالحرب، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشى بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه»[3] ، ولقد كان على الشيخ عبد الحليم محمود- خاصة - وجماعة دار الحديث عامة أن يرجعوا قبل أن يأخذوا بهذا الحديث إلى ما قاله العلماء فيه، كالذهبي وابن رجب والخطابي وما ذكره أبو نعيم في الحلية من أنه منقول عن وهب بن منبه اليهودي، وكان أبو هريرة

(1) انظر: أضواء على السنة، أبو رية (ص136).

(2) انظر: المرجع السابق(ص136-150).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الرقاق باب التواضع (ج105/8)، حديث رقم:6502

راوي الحديث لكهان اليهود يتلقى عنهم ويبث ما يتلقاه بين الناس على أنه من قول النبي صلى الله عليه وآله[1] ، ويتبين من الاستقراء أن كعب الأحبار بعد أن أصبح له شأن بين المسلمين كما بيناه في كتابنا الأضواء، قد سلط من دهائه على سذاجة أبي هريرة لكي يستحوذ عليه ليلقنه كل ما يريد أن يبثه في الدين الإسلامي من خرافات وأساطير وأوهام، وكان له في ذلك أساليب غريبة وطرق عجيبة"[2] .

وفي موضع آخر يقول أبو رية: "قد بلغ من دهاء كعب الأحبار واستغلاله لسذاجة أبي هريرة وغفلته أن كان يلقنه ما يريد بثه في الدين الإسلامي من خرافات وأساطير، حتى إذا رواها أبو هريرة، عاد هو فصدق أبا هريرة، ليؤكد هذه الإسرائيليات وليمكن لها في عقول المسلمين كأن الخبر قد رواه أبو هريرة عن النبي، وهو في الحقيقة عن كعب الأحبار"[3] .

ثم نجده في كتاب (دين الله واحد) يكثر من النقل من التوراة والإنجيل فأي تناقض هذا؟!

أورد الوصايا العشر لسيدنا موسى عليه السلام من التوراة[4] ، ثم نقل من سفر التثنية، ومن سفر أشعيا، وترنيمة لداوود عليه السلام، ومن سفر أرميا، وكذلك رسالة عيسى عليه السلام، والناموس الذي جاء عيسى ليكمله، والناموس كما جاء في انجيل مرقص[5] ، ثم جاء بنصوص تؤكد أن اليهود والنصارى أهل كتاب وليسو بمشركين ولا كفار[6] ، ونقل آيات من العهد القديم أوردها السيد المسيح ورسله في العهد الجديد، وأسفار أخرى من سفر الخروج ومن سفر تثنية الاشتراع ومن سفر المزامير وسفر أشعيا، وكذلك موعظة السيد المسيح التي ألقاها على الجبل[7] .

---

(1) أبو هريرة، أبو رية (ص24).
(2) المرجع السابق (ص92).
(3) المرجع نفسه (ص102).
(4) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص41).
(5) انظر: المرجع السابق (ص42-43-44-45-46-47).
(6) انظر: المرجع نفسه (ص74).
(7) انظر: المرجع نفسه (ص112-113-114).

المبحث الخامس

موقفه من المستشرقين واحترامهم

تعريف الاستشراق والمستشرقين:

الاستشراق لغة: مأخوذ من الشرق وتأتي في اللغة بعدة معاني، فنقول: شَرِقَ فلان بريقه، والشَّرَقُ بالماء كالغص بالطعام، وهو أن يقع في غير مساغه، وشَرِقَ شَرَقاً إذا اشتدت حمرته بدمٍ أو بحسن لون أحمر، والشَّرْقُ خلاف الغرب، والشُّروقُ كالطلوع، وشَرقَ يَشْرُقُ شُروقاً، ويقال لكل شيء طلع من قبل المَشْرِقِ وهو المقصود هنا أي جهة الشرق[1] .

اصطلاحاً: هو "علم يدرس فيه الغربيون لغات الشرق وتراث وأديان شعوبها وحضارتهم وتاريخهم، وكل ما يتعلق بهم"[2] .

هدف الاستشراق: هدف الاستشراق والمستشرقين من دراسة كل ما يتعلق بالمجتمعات الشرقية من دين وأخلاق واقتصاد وغيرها[3] :

1- أن يكون غطاءً للهدف الأساسي؛ الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين لخدمة أغراض التبشير من جهة، وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى.

2- إعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية وتجزئتها، وتفتيت وحدتها.

3- يقوم المستشرقون بدراساتهم الاستشراقية، ليقدموا نصائحهم ودراساتهم ووصاياهم أولًا للمبشرين؛ بغية تحقيق أهداف التنصير والتبشير، وثانيًا يقدمون نصائحهم للدوائر الاستعمارية؛ بغية تحقيق أهداف الاستعمار؛ بل إن كثيرًا من المستشرقين قساوسة منتظمون في السلك الكنسي، فهم بمقتضى مهنتهم أصحاب مهمات تنصيرية، وكثير من المستشرقين موظفون ببلدانهم في الدوائر السياسية والإدارية المختصة بشئون الاستعمار بصفة باحثين، أو مستشارين، أو نحو ذلك[4] .

---

(1) انظر: العين، الفراهيدي (ج38/5)، القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ص897).

(2) سعود الخلف: دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم (ص143).

(3) وهذه الأهداف أنقلها عن: اتجاهات فكرية معاصرة، مجموعة من المؤلفين (ص283)، وهي مادة معدة لطلبة الماجستير من قبل لجنة مناهج جامعة المدينة العالمية.

(4) انظر: اتجاهات فكرية معاصرة، مجموعة من المؤلفين (ص283)، وهي مادة معدة لطلبة الماجستير من قبل لجنة مناهج جامعة المدينة العالمية.

موقف أبي رية من المستشرقين:

موقفه من المستشرقين موقفٌ فيه مدح لهم، وتمجيد لعملهم؛ ولقد كان أولى بهذا المدح والتمجيد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم أبو هريرة رضي الله عنه، الذي أكثر من تجريحه؛ بل نقل من مصادر المستشرقين مكثراً في ذلك، وعدد الدكتور السباعي عدة مصادر لأبي رية أخذ فيها عن المستشرقين[1] .

ومن الأمثلة في كتبه على مدح المستشرقين:

قوله: "ومن التهم التي نقلها شيوخنا عن شيخهم السباعي هذا بغير فهم ولا إدراك، أننا بكتابنا الأضواء إنما نخدم المستشرقين، بما نطلعهم على خفايا الدين التي لا يعرفها أحد من غير المسلمين، كأنهم يستعلنون بذلك أن الدين الإسلامي وتاريخه وكتبه، كل ذلك محجوب علمه عمن ليسوا بمسلمين، وأن هؤلاء المستشرقين كانوا عن ذلك كله من الغافلين الجاهلين، حتى أتاهم كتابنا فكشف لهم الغطاء عن المكنون من أسرارنا، والمخفي من ديننا، فعرفوا منه ما لم يكونوا يعرفون، وهذا والله هو الجهل والغباء بعينه، ولقد وقع في هذه الجهالة أخيراً الشيخ محمد أبو شهبة علامة الأزهر، فقال مثل قولهم، ألا فليعلم شيوخنا –سلمت عقولهم– أن المستشرقين إنما يعرفون من أمر الإسلام وتاريخه ما لو عرفتم أنتم بعضه لكنتم من العلماء المحققين"[2] .

ثم قال: "وفي الحقيقة أن المستشرقين لم يتجنوا علينا ولم يفتروا شيئاً من عند أنفسهم، وإنما وجدوا مادة خصبة من الخرافات والأوهام قد انبثت في ديننا ونسب بعضها –وا أسفاه– إلى النبي صلى الله عليه وسلم فتشبثوا بها وتسلقوا عليها وانتقدونا من أجلها، ولا تثريب عليهم في ذلك؛ لأنهم قوم يفهمون بعقول راجحة وأذهان مستنيرة وعلوم واسعة وأفكار متحررة لا يكبلهم شيء من تقليد أو عبادة للأسلاف"[3] .

---

(1) ومن مصادر المستشرقين التي رجع إليها أبو رية، تاريخ التمدن الإسلامي " لجرجي زيدان و" العرب قبل الإسلام " لجُرجي زيدان و" دائرة المعارف الإسلامية " للمستشرقين و الحضارة الإسلامية " لكريمر و" السيادة العربية " لفلوتن و" حضارة الإسلام في دار السلام " لإبراهيم اليازجي و" تاريخ العرب المطول " لفليب حتي، وإدوار جرجس، وجبرائيل جبور و" تاريخ الشعوب الإسلامية " لكارل بروكلمان و" المسيحية في الإسلام " للقس إبراهيم لوقا و" وجهة الإسلام " لجماعة من المُسْتَشْرِقِينَ و" العقيدة والشريعة في الإسلام " لجولدتسيهر. انظر: السنة ومكانتها من التشريع، السباعي (ص5–6).

(2) أبو هريرة، أبو رية (ص22).

(3) نفس المرجع السابق (ص23–24).

فنجد هنا أبو رية قد وصف المستشرقين بالعلماء المحققين، وبأن كلامهم الحق، وأن حكمهم نابع من عقل مستنير، وهذا يبرر أخذه عنهم ونقله عباراتهم، وتبني وجهة نظرهم، إذاً خطورة كتب أبي رية تماماً كما خطر كتب أولئك المستشرقين.

موقف أهل السنة من المستشرقين:

صحيح أن هناك بعض المستشرقين من شهدوا شهادة حق في الإسلام وفي رسوله الكريم، ومنهم من خدم العلم بترجمته أو فهرسته، إلا أن أغلب المستشرقين ينطلقون من دائرة العداء للإسلام والمسلمين ويتصيدون الأخطاء لتشكيك المسلمين ولدفع غير المسلمين من الدخول فيه، لذلك نجد أن هناك شبه إجماع من علماء أهل السنة على خطر المستشرقين على الإسلام والمسلمين، وأن دوافعهم سيئة[1] ، وأنهم يدرسون الإسلام والعلوم العربية للتشكيك ولخدمة أعداء الإسلام من المبشرين والمستعمرين.

يقول الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى: "الاستشراق كهانة جديدة تلبس مسوح العلم والرهبانية في البحث، وهي أبعد ما تكون عن بيئة العلم والتحرر، وجمهرة المستشرقين مستأجرون لإهانة الإسلام وتشويه محاسنه والافتراء عليه"[2] .

ولذلك نتعامل مع كتابات المستشرقين كالتالي:

1- ما كان فيه فائدة وشهادة حق أخذنا به للدلالة على مدى تأثير الإسلام على غير المسلمين، وقدرته على إقناع المثقفين، ولا نأخذ ما قالوه على أنه أصل من أصول الاستدلال ولا منهج يجب أن يتبع.

2- ما كان فيه تشكيك وشبه، نرد عليها ونبين للناس الصواب ونحذر من هذه الشبه وأصحابها، ونبين للأجيال أهمية تلقي العلم من مناهله الصافية، وخطورة دراسة علوم الدين في الجامعات الغربية إن كان القائمون عليها غير مسلمين.

---

(1) وهذه الدوافع ذكرها فالح الصغير: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية(ص9)، والدكتور السباعي في كتابه السنة ومكانتها في التشريع (ص187-188)، وكذلك ذكرها كتاب الدفاع عن السنة وهو أحد كتب البكالوريوس المعتمدة للجامعة المدينة العالمية (ص30-40): منها دافع العصبية الدينية، والدافع الاستعماري، الدافع السياسي والاقتصادي، فأخذوا في التشكيك في الدين الإسلامي وبيان النقائص -حسب زعمهم- وينطلقون في ذلك من النظرة المسبقة العدائية للمسلمين فيبترون النصوص ويستخدمون الكذب ويرجعون إلى مراجع غير معتمدة للمسائل التي يريدون إثباتها ويركزون على مسائل خلافية ومعقدة.

(2) الدفاع عن العقيدة والشريعة، الغزالي (ص8)، وانظر: الاستشراق، محمود زقزوق (ص40).

المبحث السادس

إبرازه لجوانب سلبية من التاريخ الإسلامي

لقد مر في التاريخ الإسلامي أحداث جسام كان للسياسة دور بارز فيها، وهذه الأحداث لها دوافع ومقاصد ولها أجواء وملابسات يصعب على من لم يعايشها أن يحكم عليها، إلا إن توفرت له كل الأدلة والقرائن والدوافع والمقاصد وهذا ما لا يتوفر بكليته للاحقين، ونجد أن أبا رية انتقص جماعةً من الصحابة منهم أبو هريرة وعائشة، وصب كل غضبه على الدولة الأموية وعلى رأسها معاوية وأبرز جوانب سلبية في تاريخ المسلمين جعلته يرسم صورة قاتمة ظالمة مظلمة من تاريخ المسلمين وهو بذلك مجانب للصواب.

فنجده في كتابه الأضواء يبين أن معاوية كان له يد في وضع الحديث وأن من يتقرب إليه من القصاص والوعاظ كان لهم دوراً كبيراً في وضع الحديث له، وللشام وتفضيلها على كل البقاع[1] .

ثم ذكر دولة العباسيين وأنهم كذلك مشوا على طريق الأمويين في وضع الحديث وتمجيد قومهم[2] .

وحاول أن يؤكد أن اقتتال الصحابة كان حقبة سيئة تنازعتها الأهواء، وحب الرئاسة، والاستيلاء على الحكم، وما أشد ما انتقد به عمر بن الخطاب وعثمان ومعاوية ومن هذه المواضع قوله: "مما يدعو إلى الملاحظة هنا أننا لم نجد عمر رضي الله عنه قد اتبع هذه السنة مع معاوية بن أبي سفيان، فقد أبقاه عاملاً على دمشق سنين طويلة ولم يزعجه بالعزل كغيره، كان ذلك مما أعان معاوية على طغيانه، وأن يحكم حكماً قيصرياً طوال أيامه، وبخاصة بعد أن استولى على الشام كله في عهد عثمان، ثم امتد هذا الطغيان الأموي إلى ما بعد معاوية حتى تسّلم العباسيون الحكم، وأمر آخر يستوجب الملاحظة، ذلك أن عمر لم يكن هو الذي ولى معاوية على دمشق وإنما الذي ولاه هو أخوه يزيد بن أبي سفيان، ذلك أنه لما فتحت دمشق في عهد عمر أمر عليها يزيد بن أبي سفيان، ولما احتضر يزيد سنة ١٨هـ، استعمل أخاه معاوية مكانه من غير أن يستشير عمر، وأقره عمر على ذلك، هذان أمران قد يستوجبا الملاحظة على موقف عمر من معاوية وبنى أمية، ولم يأت لنا من أحد من المؤرخين في ذلك بيان نسكن إليه، فهل جعل عمر دمشق من نصيب بنى أمية فأمر عليها

---

(1) أضواء على السنة المحمدية، أبو رية (ص99-105).

(2) انظر: المرجع السابق (ص108-110).

في أول الأمر يزيد بن أبي سفيان ثم رضي بأن يعهد يزيد بالإمارة إلى أخيه معاوية بغير أن يرجع في ذلك إليه؟ وهل فعل عمر ذلك ليتألف بنى أمية وليتقي كيدهم ومكرهم، وهم قوم أهل شر ومكر وكيد؟ أم أن هناك أسباباً أخرى دعت إلى ذلك؟ هذا ما لا علم لنا به، وإنما الذي يعلمه هو علام الغيوب"[1]

ولقد بالغ في كرهه لدولة بني أمية كثيراً ومن ذلك قوله: "ثم ما كان بعد ذلك من أمر عثمان معهم –وهم قومه– عندما استخلف من ميله إليهم، ومحاباته إياهم، وإيثارهم بالمنح والعطايا من مال المسلمين بحق وبغير حق، وتمكينهم من حكم الولايات الكبيرة في المملكة الإسلامية لكي يمهد بذلك لقيام دولة لهم، ثم ما فعله معاوية – زعيم الفئة الباغية– مع الإمام عليّ وبنيه عليه السلام، وقلبه الحكم من شورى عادلة إلى ملك عضوض، وما ارتكبه يزيد بعد ذلك مع الحسين، وما إلى ذلك مما سجله التاريخ الصادق وخلده على صفحاته حتى إذا ما تجلى أمر هؤلا القوم وبدت حقيقتهم ناصعة أمكن تعليل ما اتخذوه في حكمهم من ضروب الرغبة والرهبة، والضغط والقهر بالمال مرة، وبالسيف تارة لتأييد دولتهم، وحفظ ملكهم"[2] .

ولم يكتف بذلك بل اتهم بني أمية بأن كراهيتهم لبني هاشم متجذرة منذ الجاهلية واستمرت بعد ذلك في الإسلام[3] .

الرد على أبي رية في اظهار هذه السلبيات في تاريخ المسلمين:

كل من تتبع كتابات المستشرقين ومكرهم وكيدهم للإسلام والمسلمين يجد وبكل وضوح اظهارهم لجوانب سيئة من تاريخ المسلمين، وإثارة فوضى كبيرة حول الخلاف الذي كان بين عليّ ومعاوية، ولقد كان أبو رية تلميذاً مخلصاً لأساتذته من المستشرقين في هذا الجانب، فنقل هذه الجوانب من الخلافات السياسية وأثار حولها فوضى كبيرة، واتهم الصحابة، وحكم على الدولة الأموية بالطغيان والبغي، وبينت من خلال كلامه السابق كيف تجرأ على عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وكان الأجدر به –لو أنه عالم محقق كما حاول أن يصف نفسه– أن يضع الأمور في نصابها الصحيح؛ إذ الخلاف السياسي قد يحدث في أي زمن وعند أي أمة والواقع يشهد بذلك قديماً وحديثاً.

(1) أبو هريرة، أبو رية (ص86).
(2) المرجع السابق (ص156).
(3) انظر: المرجع نفسه (ص157).

والخلاف الذي دار بين علي ومعاوية له أسبابه السياسية وله ظروفه الخاصة، ووقع بناءً على اجتهاد فيه تأويلات معينة، لذلك لا يحسن الحكم من خلالها على طرف بالضلالة أو الطغيان، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة[1] .

(1) انظر: الإبانة عن أصول الديانة، الأشعري (ص260)،: أصول الدين، الغزنوي الحنفي (ص292)، لوامع الأنوار البهية، السفاريني الحنبلي (ج343/2).

المبحث السابع

الطعن في عدالة صحابة رسول الله رضوان الله عليهم

أولاً: تعريف عدالة الصحابة:

العدالة فهي في اللغة: من عدل والعَدْلَ: ضد الجور: يقال: بسط الوالي عدله و (معدلته) بكسر الدال وفتحها، وفلان من أهل (المعدلة) بفتح الدال أي من أهل العدل، ورجل (عدل) أي رضا ومقنع في الشهادة، والعدل من الناس الرْضيُّ قولُهُ وحُكْمُهُ[1] .

والعدالة في الاصطلاح: أن يكون المسلم البالغ، العاقل خالياً من أسباب الفسق، سليماً من خوارم المروءة[2] .

والصحابة فهي من الصحبة ولو رجعنا للجذر اللغوي (صحب): نقول: صَحِبَه كَسَمِعَه، يَصْحَبُه صَحَابَةً بالفَتْح، ويُكسَر وصُحْبَةً بالضَّمِ كَصَاحَبَه: أي عَاشَرَهُ، والصَّاحبُ: المُعَاشِرُ[3] .

والصحابي في الاصطلاح: هو "مَن لَقِيَ النبي صلى الله عليه وسلم ولو للحظة وآمن به، ومات على الإسلام"[4] .

ويقصد بعدالة الصحابة: "استقامتهم على الدين، وائتمارهم بأوامره وانتهاؤهم عن نواهيه، وأنهم لا يتعمدون الكذب على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وذلك لما اتصفوا به من قوة الإيمان، والتزام التقوى، والمروءة وسمو الأخلاق والترفع عن سفاسف الأمور"[5] .

ثانياً: طعن أبو رية في عدالة الصحابة:

ذكرت في المبحث السابق أن أبا رية انتقد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما انتقد عثمان رضي الله عنه، وطعن في عدالة أبي هريرة رضي الله عنه، كما طعن في عدالة كعب

---

(1) انظر: مختار الصحاح، الرازي (ص202)، العين، الفراهيدي (ج38/2)

(2) انظر: تيسير مصطلح الحديث، الطحان، (ص182)، ويقصد بخوارم المروءة: تلك الأشياء التي تخالف العادات السليمة للناس، وتعرف العدالة بأمرين: إما بتنصيص معدِّلين عليها، أي أن ينص علماء التعديل أو واحد منهم عليها، وإما بالاستفاضة والشهرة).

(3) انظر: تاج العروس، الزبيدي (ج185/3).

(4) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، العسقلاني، (ص140)، وتعرف الصحبة بالتواتر والاستفاضة. انظر: رسوم التحديث في علوم الحديث، الجعبري (ج144/1).

(5) الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، أبو شهبة (ص499)، ولا نعني بالعدالة العصمة من الوقوع في الذنوب، فالعصمة لا تثبت إلا للأنبياء.

الأحبار ووصفه بالصهيوني، ولم يكتف بذلك؛ بل خالف جماهير المحدثين والفقهاء والعلماء من أهل السنة في أن الصحابة كلهم عدول وثقات، فقال إن الصحابة منهم المنافق ومنهم المتهم، وأتى بفصول عنون لها بما يقدح في عدالة الصحابة، تحت عنوان" نفاق الصحابة" وأتى بنصوص فيها شتم الصحابة لبعضهم وتفسيق بعضهم بعضاً، وحملهم السلاح على بعضهم[1] .

وأتى بحادثة تركهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يخطب وذهابهم للتجارة واللهو، وأراد بذلك أن يبين أن لا عدالة مطلقة للصحابة وأن منهم أصحاب أهواء[2] .

- وأورد كلمة الدكتور طه حسين ومفادها أننا أعطينا للصحابة، وللحقبة الزمنية التي عاشوها قداسة لم يضعوها هم لأنفسهم، وأن هناك من المفكرين والعلماء من أراد أن يريح نفسه، فلم يتعرض للأحداث التي حدثت على عهدهم، إما لقداسة زمنهم وأفعالهم، أو للتبرير لهم، وأن هؤلاء القسم كسالى (كسل عقلي)، بحيث يريدون أن يريحوا أنفسهم من البحث والتحقيق، وأنه وأمثاله ليسوا من هؤلاء القوم؛ فهم يدققون ويمحصون ويرون أن الصحابة بشر مثلهم مثل باقي البشر في الخطأ والسهو والنسيان والأهواء التي تجعلهم يقتتلوا[3] .

- وأكد أبو رية على قوله السابق بكلمة أحمد أمين التي نقلها عن الزيديين في أن الصحابة بشر لعن بعضهم بعضاً، وشتم بعضهم بعضاً، فلا نعطيهم مكانة أكبر مما وضعوها لأنفسهم[4] .

- ولقد أكثر من انتقاد أبي هريرة وطعن في عدالته ووصفه بأوصاف لا تليق بمسلم؛ بل رسم صورة مشوهة لكي يطعن في منهجه ونقله للحديث ومن ثم يرفض كثيراً من الأحاديث، وهنا تكمن الخطورة؛ فالطعن في أبي هريرة طعن في السنة النبوية: وللنظر إلى ملامح هذه الخطورة في كتابات أبي رية، يقول: "كان لأمر أبي هريرة أن ينتهى وتتجلى حقيقته بعد غروب شمس دولة بنى أمية ونسخ ظلها عنه فيبدو للناس على حقيقته ويتخلصوا من رواياته، ولكن أتيح لهذه الروايات أن تبقى على مر القرون، وذلك بظهور بدعة عدالة الصحابة المطلقة، فعصمته وغيره من الصحابة من أن يتجه إليهم تجريح مهما ارتكبوا من ذنب، أو اقترفوا من إثم، أو يصوب إلى روايتهم نقد مهما كان فيها مما يستوجب

---

(1) انظر: أضواء على السنة المحمدية، أبو رية (ص332).

(2) انظر: المرجع السابق (ص331-332).

(3) انظر: المرجع نفسه (ص333-336).

(4) انظر: المرجع نفسه (ص336).

الطعن، وقد أصبحت هذه البدعة سنة متبعة؛ بل قاعدة من قواعد علم الأصول، من خرج عليها، ولم يأخذ بها رمي بالمروق والزندقة"[1] .

ولقد أوردت في المبحث السابق من كلامه انتقاده لكبار الصحابة كعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وسبه لكعب الأحبار ووصفه بالصهيوني، كل ذلك يؤكد على أن هذا الرجل يتحدث عن الصحابة وكأنه يتحدث عن آحاد الناس في أي عصر من العصور، وليس لهم فضل وميزة في الحفاظ على هذا الدين وتوصيله إلينا، وكأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمدحهم ويبين أنهم أفضل الناس وأن قرنهم أفضل قرن.

ثالثاً: الرد عليه في عدالة الصحابة:

إن الذي جاء به أبو رية مخالف لأهل السنة والجماعة في معتقدهم في عدالة الصحابة؛ فالَّذِي عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ، وَجَمَاهِيرُ الْخَلَفِ، وهو ما عليه المحدثون والفقهاء وعلماء الأمة جميعهم، أَنَّ عَدَالَةَ الصحابة ثابتة مَعْلُومَةٌ بِتَعْدِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهُمْ وَثَنَائِهِ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ مُعْتَقَدُنَا فِيهِمْ إِلَّا أَنْ يَثْبُتَ بِطَرِيقٍ قَاطِعٍ ارْتِكَابُ وَاحِدٍ لِفِسْقٍ مَعَ عِلْمِهِ بِهِ، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَثْبُتُ فَلَا حَاجَةَ لَهُمْ إِلَى التَّعْدِيلِ[2] .

وهذه العدالة ثابتة بالقرآن والسنة وقول جماهير السلف والخلف، فمن القرآن: قوله تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾**[3] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾**[4] ، وهذا الرضا في الآيتين شهادة من الله لهم، وخصوصية تحفظ لهم التقدير، والأدب الجم في الحديث عنهم، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**[5] ، وَقَوْلُهُ: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[6] ، وَقَوْلُهُ: **﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ**

---

(1) كتاب أبي هريرة، أبو رية (ص149).

(2) انظر: الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (ص46)، عمدة القاري شرح البخاري، العيني (ج176/21)، المستصفى، الغزالي (ص130)، روضة الناظر، ابن قدامة (ج345/1).

(3) الفتح: 18.

(4) التوبة: 100.

(5) الواقعة: 11

(6) الأنفال:64

ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾[1] .

فهذه الآيات جميعاً تبين أفضلية الصحابة، وتميزهم بالعدالة، وإن كنا نقبل شهادة الناس بعدالة بعضهم البعض، فما بالك بمن شهد لهم الله عز وجل.

ومن السنة النبوية: – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ أَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ، وَيَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا»[2] .

– عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[3] .

ومن أقوال العلماء فيمن يقدح في عدالة صحابة رسول الله:

أَخْبَرَنَا أَبُو مَنْصُورٍ مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْهَمَذَانِيُّ، ثنا صَالِحُ بْنُ أَحْمَدَ الْحَافِظُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَانَ التُّسْتَرِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا زُرْعَةَ، يَقُولُ: "إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَنَا حَقٌّ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَالْجَرْحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ"[4] .

إذاً أهل العلم يجرحون من يجرح الصحابة، فمن يجرح من ثبتت عدالتهم هو أولى بهذا الجرح.

---

(1) الحشر : 8-9

(2) صحيح البخاري، البخاري، أخرجه بلفظ" خير الناس قرني" كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد (ج171/3)، حديث رقم: 2652، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم (ج1962/4) حديث رقم: 2533.

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب لو كنت متخذا خليلاً (ج8/5) حديث رقم: 3673، صحيح مسلم، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم(ج4/ 1967) حديث رقم: 2540.

(4) الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي (ص49).

المبحث الثامن

الدعوة إلى التقارب بين الأديان

ما أشد تناقض أبي رية الذي حمل حملته الشنيعة على السنة النبوية واتهم رواتها بالكذب، وأن أكثر ما ورد فيها من الإسرائيليات التي لا مجال لتصديقها، وطعن في عدالة الصحابة، ولم يسلم من لسانه وكتاباته فريق من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، نجده رجل وحدوي يحب الإنسانية والاتفاق مع أهل الكتاب، وعدم تكفير أهل الكتاب؛ بل والاستدلال من كتبهم على أمور عقدية وتشريعية وأخلاقية، ويمدح كل الجهود التي تقرب بين الأديان لتنصهر جميعاً في دين واحد دين المستقبل المنتظر بتأويله لآية: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[1] ، فجعل أصول الديانات التي تنجي أصحابها أصلان:

1- الإيمان بالله. 2- الإيمان باليوم الآخر.

وعليه فالمسلمون وأهل الكتاب عنده ناجون، ولقد أكد على هذا الأمر أكثر من مرة، فأكد على أن أصل الديانات واحد، وأن الاختلاف في الفروع، ثم دعا وبكل صراحة إلى وحدة الأديان فقال: " وإذ وصلنا إلى هنا من الكلام عن الأديان واتحادها في الأصول، وأنه يمكن اتفاق أهلها كذلك إذا خلصت النوايا ونظر إليها بعين العلم والإنصاف بعيدة عن التعصب والهوى فإننا ننشر كلمات رائعة لعلماء كبار من علماء الأديان الثلاثة: اليهودية، والنصرانية، والإسلامية"[2] .

فذكر كلمة الحاخام الأكبر لليهود وترحم عليه، وكانت كلمته تدور حول التقارب بين بني الإنسان وخاصة أهل الأديان، ثم ذكر كلمة قسيس من النصارى حول التقارب الديني، ثم ذكر جمعية التأليف والتقريب وامتدح من أنشأها مرجعاً الفضل للشيخ محمد عبده والقس اسحاق طيلر[3] ، وقال: "أما جمعية التأليف والتقريب التي أسسها هذان العالمان العظيمان منذ ثمانين سنة، واشترك فيها أحرار أبرار من جميع الأجناس البشرية، فقد كانت من أجل الأعمال التي تحتاج إليها الإنسانية على مدار التاريخ كله"[4] .

---

(1) البقرة: 62. وذهب ابن عباس وغيره من العلماء إلى أن هذه الآية منسوخة بآية آل عمران ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه﴾ انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج436/1).

(2) دين الله واحد، أبو رية (ص102).

(3) انظر: المرجع السابق (ص103-109).

(4) المرجع نفسه (ص103).

الرد على أبي رية:

1- إن ما جاء به دعاة التقريب بين الأديان، ووحدة الأديان لهي من أخطر البدع العقدية التي لها أثرها السيء على ولاء المسلم لدينه، ولا يعني تمسك المسلم بالدين القويم معاداة بني الإنسان، فقد أوصانا ديننا بمعاملة الناس على أساس الرحمة والتعاون، لكن ليس على حساب الدين.

2- ولقد بين الله لنا أن دين الإسلام دين الهداية والرشاد فقال تعالى: **﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** [1] ، وقوله تعالى: **﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [2] .

3- وهناك عدد من آيات الله، يتلوها المسلمون في كتاب الله؛ ليحذروا من اليهود والنصارى، وذلك ليضل المسلمون على طريق الهداية، قال تعالى: **﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾** [3] ، قال قتادة: **﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل﴾** أي ولا تلبسوا اليهودية والنصرانية بالإسلام؛ إن دين الله الإسلام، واليهودية والنصرانية بدعة ليست من الله[4] .

4- وإن من أبلغ ما يرد به على دعاة توحيد الأديان، قول الله تعالى: **﴿اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾** [5] .

وجمهور المفسرين على أن المغضوب عليهم هم اليهود، والضالين هم النصارى[6] ، وهذا ما تؤيده الأحاديث والآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم، فعن عدي بن حاتم، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المغضوب عليهم: اليهود، والضالون: النصارى»[7] .

---

(1) الأنعام: 153

(2) البقرة: 135

(3) البقرة: 47

(4) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج245/1).

(5) الفاتحة: 6-7

(6) انظر: جامع البيان، الطبري (ج187/1)، الجامع، القرطبي (ج150/1)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج142/1).

(7) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ومن سورة فاتحة الكتاب (ج202/5)حديث رقم: 2953، قال عنه الألباني: حسن، مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ج124/32)،حديث رقم: 19381، صحيح ابن حبان، ابن حبان (ج140/14) حديث رقم: 6247،قال الأرناؤوط في تعليقه على هذا الحديث حديث حسن لغيره.

5- ومعلوم من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته أنه كان يخالف أهل الكتاب في كل شيء، بل أنه حذرنا من اتباعهم.

فأي تقارب يكون مع مَن وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمغضوب عليهم والضالين؟، وأي طريقة جاء بها دعاة التقارب الديني، التي تخالف هدي القرآن والسنة؟.

المبحث التاسع

عدم تكفير أهل الكتاب

لقد سلك أبو رية مسلكاً غريباً انفرد به عن فرق وطوائف المسلمين، فعد من آمن بالله واليوم الآخر مسلماً، ولم يرتضِ الحكم على أهل الكتاب بالكفر.

فبدأ كتابه دين الله واحد ونهاه بدعوة أراد أن يؤسس لها وهي أن دين الله واحد، ومن ثم يجب أن يكون الجميع على حد سواء، والله من يفصل بين الناس في الآخرة، وأن الحد الصحيح للإيمان الإيمان بالله واليوم الآخر، فابتدأ كتابه[1] بقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصارى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾[2]

ونهاه بآية سماها دين المستقبل وهي: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [3].

ثم أكد أكثر من مرة بأن اليهود والنصارى ليسوا كفار، فذكر ذلك عند حديثه عن قصة المحامي القبطي الذي توفاه الله وترحم عليه، وقال في موضع آخر تحت عنوان (اليهود والنصارى أهل كتاب وليسوا بمشركين ولا كافرين): مما نذكره والأسى يملأ جوانحنا أن هناك فكرة خطيرة، كان لها ولا ريب أثر كبير في الخلاف بيننا وبين إخواننا من غير المسلمين، تلك الفكرة هي أن بعض رجال الدين من المسلمين يعتبرون اليهود والنصارى مشركين أو كافرين وأنه يجب أن يعاملهم المسلمون على ذلك، وقد انتشرت هذه النزعة إلى العامة، ففعلت في نفوسهم فعلها، وهذا الأمر الذي يأسى له كل عاقل إنما مرده إلى الجهل بأصول الأديان عامة ودين الإسلام خاصة، وما شاب هذا الجهل من تعصب ممقوت، لا تبرح جذوره متأصلة في بعض النفوس بغير علم ولا إدراك ولا نظر ثاقب إلى ما تؤدى إليه من ضرر اجتماعي وديني معاً، ثم قال: والناس قد عرفوا جميعاً أنهم خلقوا من طينة واحدة وأنهم أمام الله سواسية، وأن كل إنسان حر في اعتقاده كما هو حر في تفكيره وعمله، وأن ليس لأحد أن يتدخل في أمر عقيدته أو يتسلل إلى معرفة ما استسر بين جوانحه، لأن الحكم على عقيدة الرجل من حيث إيمانه أو

---

(1) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص13).

(2) الحج: 17

(3) البقرة: 62. استعمل هذه الآية ليؤكد أن المؤمنين من جميع الديانات عند الله سواء. انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص127).

شركه أو كفره ليس من حق مخلوق في هذه الحياة، وإنما هو من حق الله وحده وأنه قد استأثر سبحانه به، وهو العليم الخبير الذي يطلع على ما في القلوب[1] .

ولا أدري كيف يدعي أن كل واحد حر في تفكيره؟، وكل حرية لها حدود وضوابط، إن خرجت عنها خرجت إلى الشطط والزيغ والكفر والشرك.

وهل صحيح يقصد ما يقول بأن النصارى أحرار فيما يدعون من عقيدة التثليث؟، أو فيما تدعيه اليهود في الله؟ أو في انتقاصهم من حق الأنبياء؟.

ثم أخذ أبو رية يؤول الأدلة لتتفق مع بدعته السيئة في أن اليهود والنصارى ليسوا مشركين ولا كفاراً، وبعد ذلك نقل كلام ابن تيمية في معاملة أهل الكتاب، ليأخذ من كلامه أنه يعتبر أهل الكتاب قسماً ثالثاً غير المشركين والكفار، وليحاول بدهائه أن يقنع القارئ أنهم مسلمين في السياق العام للإسلام وهو الاستسلام لله...

وإن ما جاء به أبا رية لأمر خطير لا يقف عند التعاون الإنساني ولا الترابط الاجتماعي، الذي حث عليه القرآن في إباحة الطعام والتزوج بالكتابيات؛ بل تعدى إلى توحيد الأديان في دين واحد يعتبر فيه كل من آمن بالله واليوم الآخر فهو مسلم ولا يعتبر كافراً؛ فالمسلمون واليهود والنصارى كلهم سواء في الدنيا وفي الآخرة، أمرهم جميعاً إلى الله ، وإن كان أخرج من اليهود الحركة الصهيونية التي ترى أنها شعب الله المختار، وقال أنه لا يقصدهم بكلامه[2] ، إلا أن طرحه هذا خطير، وكلامه مخالف لصريح القرآن، وصحيح السنة، ولأقوال أهل العلم من المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

الرد على قول أبي رية بأن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً:

أولاً: زعم أن أصل الإيمان أصلين فقط، وهذا مخالف لعقيدة سلف الأمة وخلفها، وسنفصل في هذا الأمر في الفصل القادم من هذا البحث، كما أخطأ عندما أول لفظ الإسلام وعبر عنه بمعناه اللغوي، وسيأتي معنا في الفصل المقبل أيضاً من البحث.

ثانياً: في عقيدة أهل السنة والجماعة أن اليهود والنصارى كفاراً، لأنهم ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، ولقد صرح القرآن بكفرهم فقال تعالى: **﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ**

(1) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص75).

(2) انظر: المرجع السابق (ص75–85).

عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (2) ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (3)﴾ [1] .

ولقد صرح القرآن بكفر النصارى الذين يقولون أن الله ثالث ثلاثة **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [2] وفي الآية بعدها: **﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾**[3] .

واتفقت كلمة علماء أهل السنة والجماعة على أن اليهود والنصارى كفاراً، قال الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله: "تكفيرهم منصوص عليه في الكتاب ومجمع عليه بين الأمة"[4] ، وبين ابن تيمية رحمه الله سبب كفرهم فقال: "كفر اليهود أصله عدم العمل بالعلم، وكفر النصارى أصله عملهم بلا علم"[5] ، وإن اختلفوا في أنهم مشركون، قال ابن حزم الظاهري رحمه الله: "اخْتلف النَّاس فِي الْكفْر والشرك فَقَالَت طَائِفَة هِيَ اسمان واقعان على مَعْنيين وَإِن كل شرك كفر وَلَيْسَ كل كفر شركاً، وَقَالَ غيرهم لَا شرك إِلَّا قَول من جعل لله شَرِيكا، والْيَهُود وَالنَّصَارَى كفَّارًا لَا مشركون وَسَائِر الْملَل كفار مشركون وَهُوَ قَول أبي حنيفَة وَغَيره، وَقَالَ آخَرُونَ الْكفْر والشرك سَوَاء وكل كَافِر فَهُوَ مُشْرك وكل مُشْرك فَهُوَ كَافِر وَهُوَ قَول الشَّافِعِي وَغَيره"[6] .

---

(1) محمد: 1-3

(2) المائدة: 17

(3) المائدة: 73

(4) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي (ص134)

(5) اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية (ص8).

(6) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزن (ج124/3).

الفصل الثالث

موقف محمود أبو رية من قضايا عقدية مهمة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الأول

موقف محمود أبو رية من قضايا عقدية واردة في القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهومه للإسلام

أولاً: مفهوم الإسلام عند أبي رية:

أورد أبو رية الآيات التي ورد فيها لفظ الإسلام، وابتدأ بآية ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [1] ، فقال: أي إسلام الوجه[2] ، وجاء بما يؤيد ذلك مستشهداً بآية ثانية: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّما عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِباد﴾ [3] .

ثم تناول الحديث عن الإسلام بمعناه اللغوي فقال: "أسلم بمعنى خضع استسلم، وبمعنى دخل في السلم، وتسمية دين الحق إسلاماً يناسب كل معنى من معاني الكلمة في اللغة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِيناً مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلاً﴾ [4] ، يتناول جميع الملل التي جاء بها الأنبياء لأنه روحها الكلي الذي اتفقت فيه على اختلاف بعض التكاليف وصور الأعمال فيها، وقد أخبر القرآن أن الأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام[5] .

وليؤكد على أن الإسلام لفظ شامل ولا يخص كمصطلح أتباع محمد صلى الله عليه وسلم، جاء بشواهد أخرى، كلها لا تخرج عن المعنى اللغوي فاستشهد بقوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [6] .

وجاء أبو رية بالآيات التي تتحدث عن إسلام الأنبياء، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ﴾ [7] ؛ وذلك ليؤكد على أن الإسلام هو الاستسلام لله، ولا يخص الأمة المحمدية، ومن ثم هذه الفكرة ستسهل عليه التنظير لوحدة الأديان.

---

(1) آل عمران: 19ا

(2) دين الله واحد، أبو رية (ص24-25).

(3) آل عمران: 20

(4) النساء: 125

(5) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص24-33).

(6) آل عمران: 83

(7) البقرة: 131

ثانياً: الرد على أبي رية في فهم معنى الإسلام:

ولكي نحدد مواطن الاتفاق والاختلاف مع أبي رية لا بد أن نفهم لفظ الإسلام في اللغة واصطلاح علماء أهل السنة.

الإسلام لغةً: الاسْتِسْلامُ والاِنْقِيَادُ، وإِظهار الْخُضُوعِ[1] .

أما الإسلام في الاصطلاح: فمن العلماء من عرف الإسلام بالمعنى العام الذي يتفق مع المعنى اللغوي قال الطحاوي "لا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام"[2] ، وعرفه الإمام أبو حنيفة: "هُوَ التَّسْلِيم والانقياد لأوامر الله تَعَالَى"، وهناك فرق بَين الْإِسْلَام وَالْإِيمَان، وَلَكِن لَا يكون إِيمَان بِلَا إسلام، وَلَا يُوجد إِسْلَام بِلَا إِيمَان، وهما كالظهر مَعَ الْبَطن، وَالدّين اسْم وَاقع على الْإِيمَان وَالْإِسْلَام والشرائع كلهَا"[3] .

والتعريف الأخص للإسلام: بأنه الإقرار بالشهادتين وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا[4] ، وهناك من جعل الإسلام والإيمان مترادفان، ومنهم من قال: الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً[5] .

وبفهم المعنى اللغوي يتضح أنه لا خلاف مع أبي رية على أصل استعمال لفظ الإسلام في خضوع المخلوقات لله، لكن الخلاف في اعتماد المعنى اللغوي في إقرار هداية أهل الكتاب، فهذا تلفيق ترفضه الأدلة الصريحة الحاكمة بكفر اليهود والنصارى، كما يرفضه العقل السليم الذي ينظر في هذه الأدلة فيفهم مدلولاتها، ومنها قوله تعالى: ﴿**وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ**﴾ [6] ، وَقَوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ(1) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ**

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، باب الميم فصل السين (ج12/295).

(2) العقيدة الطحاوية، الطحاوي (ص43).

(3) الفقه الأكبر، أبو حنيفة (ص57).

(4) انظر: الإيمان، القاسم بن سلام (ص51).

(5) انظر: الإبانة، الأشعري (ص26).

(6) انظر: المرجع السابق.

رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ(2) ذلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْباطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثالَهُمْ(3)﴾ (1) ، ولقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما يَخْلُقُ مَا يَشاءُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (2) ، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقالَ الْمَسِيحُ يا بَنِي إِسْرائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْواهُ النَّارُ وَما لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصارٍ(72) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قالُوا إِنَّ اللَّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ وَما مِنْ إِلهٍ إِلاَّ إِلهٌ واحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ (73) أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(74)﴾ (3) .

وهذه الآيات تدلل بكل وضوح ضلال وكفر أهل الكتاب الذين لا يقرون بنبوة محمد أو يقولون بعقيدة التثليث، وإن المدلول اللغوي الذي ساقه أبو رية عبر الآيات المختلفة والذي يعني الخضوع والاستسلام لله عز وجل، لا يقرر هداية أهل الكتاب وصواب ما هم عليه، بل قصارى ما يقره المعنى اللغوي قصور البشر عن إدراك الكمال الإلهي، وحاجتهم له في كل وقت، وخضوعهم له، ولما سن سبحانه في هذا الكون من سنن وما سيجري عليهم فيها من أحوال.

ثالثاً: مفهوم الإسلام عند أهل السنة والجماعة:

جميع أهل السنة يقررون(4) ، أن كل من آمن بالله واتبع الأنبياء يسمى مسلماً بمعنى الانقياد والاتباع لدين الله، فكل من اتصف بهذا الوصف كان مسلماً، لكن استخدام هذا اللفظ كاسم فإنه يخص الأمة المحمدية وكل مقر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن هذه الأدلة قوله تعالى: ﴿وَجاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهادِهِ هُوَ اجْتَباكُمْ وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْراهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هذا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا

---

(1) محمد: 1-3

(2) المائدة: 17

(3) المائدة: 72-74. ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا قول اليعقوبية، فرد الله عليهم ذلك بحجة قاطعة مما يقرون به، فقال: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ أي إذا كان المسيح يقول: يا رب ويا الله فكيف يدعو نفسه أم كيف يسألها؟ هذا محال، ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾ قيل: وهو من قول عيسى. وقيل: ابتداء كلام من الله تعالى، والإشراك أن يعتقد معه موجداً. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج249/6).

(4) انظر: تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، الباقلاني (ص156)، الفرق بين الفرق، الإسفراييني (ص221)، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (ج37/1).

شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلى وَنِعْمَ النَّصِيرِ﴾ [1] ، وقوله تعالى في رده على الأعراب أنهم مقرون بنبوة محمد لكن لم يتعمق الإيمان في قلوبهم، فقال: ﴿**قالَتِ الْأَعْرابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[2] .

وأمة الإسلام تشمل كل مقرّ بنبوة مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وأن كل مَا جَاءَ بِهِ حق وهناك من العلماء من لم يعتبر الإقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كافٍ في وصف من يسمى مسلماً وذلك لأن العيسوية من يهود أَصْبَهَان[3] يقرونَ بنبوة نَبينَا مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَبِأَن كل مَا جَاءَ بِهِ حق، وَلَكنهُمْ زَعَمُوا أنه بعث إلى الْعَرَب لَا إلى بنى إسرائيل، وَقوم من شاركانية الْيَهُود حكوا عَن زعيمهم الْمَعْرُوف بشاركان أَنه قَالَ أَن مُحَمَّدًا رَسُول الله إلى الْعَرَب وإلى سَائِر النَّاس عدا الْيَهُود[4] ، لذلك قال الإسفراييني: "وَالصَّحِيح عندنَا أَن أمة الإسلام تجمع المقرين بحدوث الْعَالم، وتوحيد صانعه، وَقدمه وَصِفَاته وعدله وحكمته، وَنفى التَّشْبِيه عَنهُ، وبنبوة مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ورسالته إلى الكافة، وبتأييد شَرِيعَته، وَبِأَن كل مَا جَاءَ بِهِ حق، وَبِأَن الْقُرْآن منبع أَحْكَام الشَّرِيعَة، وَأَن الْكَعْبَة هِيَ الْقبْلَة الَّتِي تجب الصَّلَاة إليها، فَكل من أقرّ بذلك كُله وَلم يتلبس ببدعة تُؤَدّى إلى الْكفْر فَهُوَ السنى الموحد"[5] .

المطلب الثاني: مفهومه للإيمان

أولاً: مفهوم الإيمان وأركانه عند أبي رية:

إن مفهوم الإيمان عند أبي رية يختلف تماماً عمّا عليه علماء أهل السنة قاطبة، فهو يقرر في كتابه دين الله واحد أن الأديان الثلاثة متحدة في أصلها، وعليه فإن أتباعها جميعاً ناجون، وهذه الخلاصة يتوصل إليها كل من يقرأ كتابه من بدايته عندما قرر أن أهل الكتاب ليسوا كفارا، ثم أكد أن جميع الأديان متحدة في التوحيد، وروح العبادة، وتزكية الأنفس، وجميعهم عند

(1) الحج: 78

(2) الحجرات: 13

(3) وهم من يهود أصبهان يقرون لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم دون اتباعه، فهم يعتقدون أنه أرسل في العرب، لا للناس جميعاً. انظر: الفرق بين الفرق، الإسفراييني (ج8/1)، الوافي بالوفيات، الصفدي (ج77/10).

(4) انظر: الفرق بين الفرق، الإسفراييني (ج8/1-10)، والشاركانية طائفة من اليهود أقروا بنبوة محمد للناس جميعاً دون اليهود.

(5) الفرق بين الفرق، الإسفراييني (ج10/1).

الله سواء؛ وإنما التفاوت بينهم في العمل، لذلك من أتى بهذا الخير من أي ديانة كان فهو مقبول عند الله[1] ، ثم نقل كلمات حاخام اليهود الأكبر وكلمات القس وكلمات طيلر وكلمات جمال الدين الأفغاني وجهود جمعية التقارب بين الأديان[2] ، وكل ذلك ليؤكد على أن المسلمين والنصارى واليهود على حد سواء من القبول عند الله من عدم القبول، ثم ختم كتابه بأنه سيأتي اليوم الذي تنصهر فيه الأديان ليكون ديناً واحداً لجميع البشر، وهو دين المستقبل الذي بشر به الأفغاني على حسب فهم أبي رية[3] ، وبناءً على هذه الرؤية التي ارتآها، وفكرته في أن اليهود والنصارى أهل كتاب ليسوا بكفار جعل أصول الإيمان ثلاثة، وهي: الإيمان بالله والعمل الصالح، والإيمان باليوم الآخر، فقال: "هذا رأي السيد جمال الدين في دين المستقبل، وكأن فيلسوفنا العظيم قد رأى بعين بصريته: أن الناس سيصلون إن شاء الله بعلومهم وعقولهم إلى مرتقى تزول فيه الجنسيات الدينية وتختفي العصبيات المذهبية ويجتمعون على دين واحد يشمل الناس جميعاً، وهذا الدين يقوم على ثلاث قواعد: (1)إيمان بالله، (2)عمل صالح في الحياة، (3)إيمان باليوم الآخر، أما وراء ذلك مما هو خارج عن علمهم فأمره مفوض إلى ربهم، وبذلك يعيشون في الحياة تحت ظل من السعادة ظليل متحابين، متعاونين على عمل ما فيه الخير لكل قبيل"[4] .

---

(1) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص79-85-89).

(2) المرجع السابق(ص90-105).

(3) وقد عزا هذا القول للأفغاني على أنه قد نقله من مجلة المنار(ج5/610)، وعند تتبعي للأمر وجدت أن محمد رشيد رضا قد وضح المقصود بمقولة جمال الدين الأفغاني في رده على الرجل العراقي الذي بعث يستفسر عن هذه المقولة، وكفر من قالها أو نقلها، فجاء الرد في مجلة المنار: قال محمد رشيد رضا: لا وجه للقول بكفر هذا الناقل، ولا ذلك القائل، ولا بتعزير من يرى ذلك الرأي، سواء كان خطأً أم صوابًا، والظاهر أن أولئك العلماء لم يفهموا المعنى، والمقصود من قول الأفغاني: يقول كثير من علماء الاجتماع: إن البشر في مجموعهم يسيرون إلى الكفر والإلحاد عامًا بعد عام، وإن هذا السير ينتهي بترك الأمم كلها للتدين بعد قرون كثيرة أو قليلة، ومن هؤلاء القائلين بهذا الرأي من هو متدين بالإسلام، ومنهم من هو متدين بغيره، ومنهم من هو ملحد لا يدين بدين، ويقول آخرون: إن البشر لا يمكن أن يستغنوا عن الدين، ولا عبرة بما نراه في هذا الوقت من كثرة الكافرين، فلا بد أن يبقى الناس متدينين، وأن يبقوا مختلفين في الدين، ويذهب آخرون إلى أنه لا بد أن يسود في المستقبل دين يكون عليه أكثر البشر، وهل يكون ذلك دينًا جديدًا، أم أحد الأديان الحاضرة.؟ بعد تنقيحه وتطبيقه على حال الناس في المدنية المستقبلة؟ إنهم مختلفون في هذا، وسمعت الأستاذ الإمام محمد عبده يقول أكثر من مرة: إنني أعتقد منذ عشرين سنة أن دين المستقبل هو الإسلام، ولي على ذلك أدلة اجتماعية، وأدلة نقلية: كالوعود الإلهية بإظهاره على الدين كله، وهو عندي في مرتبة اليقين. انظر: مجلة المنار، محمد رشيد رضا (ج12/93).

(4) دين الله واحد، أبو رية (ص127-128).

ولا يقف خطر ما يتكلم فيه على أن ينظر هذه النظرة المصوبة لعقيدة اليهود والنصارى؛ بل يؤول ما جاء منقولاً عن السيد المسيح تحت عنوان(مغزى أقوال السيد المسيح) وعن عقيدة التثليث، فهو يرى أن من قال بعقيدة التثليث يقصد باطن الأمر لا ظاهره تماماً كما كان يقول غلاة الصوفية[1] .

ثانياً: الرد عليه في مفهوم الإيمان وأركانه من خلال ما تقرر عند أهل السنة والجماعة:

لقد تقرر مفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة بمجموع ما دلتهم عليه نصوص الكتاب والسنة، فعرفه جمهور العلماء: هو التصديق بالقلب، والإقرار بالشهادتين باللسان، والأعمال بالجوارح[2] .

ومن النصوص الدالة على ذلك قول الله تعالى: ﴿**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[3] ، وهذه الآية تدلل على أن مجرد الإقرار لا يحقق الإيمان، كما المعرفة المجردة عن العمل لا توصل إلى الإيمان.

ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: « بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ؟ قَالَ: أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: صَدَقْتَ، فَعَجِبْنَا إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ بِهَا مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ

---

(1) دين الله واحد، أبو رية (ص109)، وهذه العبارات نقلها عن جمال الدين الأفغاني فقد أوردها محمد باشا المخزومي في كتاب خاطرات جمال الدين الأفغاني (ص181-183).

(2) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الخير العمراني (ج737/3)، العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي البعلي الدمشقي (ص40)، لوامع الأنوار البهية، السفاريني (ج405/1).

(3) الحجرات: 14

الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ عُمَرُ: فَلَبِثْتُ ملياً، ثُمَّ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عُمَرُ هَلْ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟، قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَاكُمْ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينَكُمْ»[1] ، وفي هذا الحديث يبين النبي صلى الله عليه وسلم أن مرتبة الإيمان أعلى من مرتبة الإسلام، كما يبين أركان الإيمان الستة، وهذا مما لا خلاف فيه عند أهل السنة والجماعة، وما ذكره أبو رية من أركان الإيمان ثلاثة فهذا مخالف لعقيدة سلف الأمة وخلفها، التي استقوها من الأدلة السابقة، والأركان الستة هي:

الإيمان بالله، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقضاء والقدر[2] .

كما أن أبا رية زعم أنه من أتى بالأصول الثلاثة السابقة، فهو ممن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وهو بذلك يخالف صريح القرآن إذ إن الله عز وجل يقول: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾[3] فكيف يعد من لا يؤمن برسالة محمد من اليهود والنصارى بأنهم مسلمون، وأنهم حققوا أصل الإيمان؟.

المطلب الثالث: مفهومه للإنعام والهداية

أولاً: مفهومه للهداية وهل هو خاص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم:

بدأ أبو رية تأويله لمفهوم الهداية والإنعام ليصل إلى هداية أهل الكتاب، فنقل ما أراد أن ينقله من تفسير محمد عبده لقوله تعالى: ﴿**صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾[4] ، ولفق ما أراد أن يلفقه ليصل إلى النتيجة التي أثبتها، فقال: تحت عنوان (الله رب

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة(36/1) حديث رقم(8).

(2) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي (511/2)، أركان الإيمان، علي الشحود (ص16)، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء (ص8).

(3) البقرة: 285.

(4) الفاتحة: 7. ولقد رجعت إلى تفسير المنار فوجدت أن محمد عبده رجح أن المغضوب عليهم والضالين هم كل من ضل عن الطريق المستقيم، وجعل هذا الضلال على أقسام، لكنه لم يقرر ما أراد أن يصل إليه أبو رية من الوصول إلى اتحاد الأديان بداعي وجود الهداية عند الجميع. انظر: المنار، محمد عبده (ج57/1–62).

العالمين، ومن هم الذين أنعم عليهم) أن أهل الأديان جميعاً سواسية أمام الله، وأنه ليس لأحد منهم فضل على آخر إلا بالعمل الصالح، ثم نقل من تفسير الأستاذ محمد عبده أن تفسير قوله تعالى:(صراط الذين أنعمت عليهم)، أي الذين أنعم الله عليهم من غير المسلمين الذين بُعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم، فهناك فريق من الأمم السابقة هداهم الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم، وهذا يؤكد على أن أصل التوحيد عند الجميع واحد[1] .

ونقل بعد ذلك تفسير قوله تعالى: **﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**[2] ، أي يريد الله أن يهديكم طريق من كان قبلكم بما شرعه لهم من أحكام فكان عملهم سليماً وصحيحاً[3] ، ثم تحدث بعدها عن أهل الكتاب أنهم ليسوا سواءً فمنهم من يقوم الليل ساجداً وقائماً، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه، ومنهم من هو على غير هدى وهو في الضلال المبين، ثم إن هذا الضلال ليس محصوراً بفئات من أهل الكتاب والأمم السابقة؛ بل من أمة الإسلام من يسير على هواه لذلك قال الله عز وجل: **﴿ليس بِأَمانِيِّكُمْ وَلا أَمانِيِّ أَهْلِ الْكِتابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً(123) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾**[4] ، فالجزاء على العمل وليس على التمني[5] .

ثانياً: الرد عليه:

ولئن بدت بعض العبارات من كلام أبي رية صحيحة؛ إلا أنه يدس السم في العسل؛ ومن ورائه خطر كبير إذا نظرنا إلى مجموع ما قاله، وما حاول أن يقرره، فلا خلاف في أن كل من اتبع الأنبياء وسار على طريق الهداية فهو من المؤمنين؛ لكن الخلاف فيما أراد أن يثبته في المقدمة التي بدأ بها وهي أن المسلمين واليهود والنصارى على حد سواء عند الله قبل وبعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، ثم أخذ ينتقل من مفهوم هداية فريق من أهل الكتاب إلى المساواة

---

(1) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص81-84).

(2) النساء: 26.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (ج209/8)، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج148/5)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج234/2).

(4) النساء: 123-124.

(5) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص85).

في العمل بين البشر، ثم إلى اتحاد الأديان في الأصول وروح العبادة والتزكية، ثم إلى النجاة من النار وأنها ليست خاصة بقومٍ دون غيرهم[1] .

ولا شك في أنه أخطأ في تقريره الذي توصل إليه من مساواة أهل الكتاب للمسلمين في الهداية، وأن الضلال ليس خاص بأهل الكتاب؛ بل من المسلمين من يضل عن سواء السبيل، والتفاوت عند الله فيمن هو أتقى، وما عليه أهل السنة أن شريعة الإسلام ناسخة لما قبلها، وأهل الكتاب مخاطبون بالإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن أسلم فهو مسلم، ومن كفر فهو كافر ضال، والأدلة الصريحة من القرآن والسنة كثيرة، ومنها في الكتاب العزيز:

1- قول الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنا عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْناهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾[2] .

ولو كان أهل الكتاب على هداية بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم لما طلب الله منهم أن يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ورتب الثواب والعقاب بناءً على إيمانهم بحمد صلى الله عليه وسلم[3] .

2- ﴿**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصارى أَوْلِياءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(51) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشى أَنْ تُصِيبَنا دائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلى ما أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نادِمِينَ(52) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرِينَ**﴾[4] .

وهذه الآيات واضحة الدلالة في تحذيرها من اتباع اليهود والنصارى، ولو كانوا على هداية لأمرنا باتباعهم، بل صرح بأن من يواليهم فإنه من الظالمين، وأن من يسارعون فيهم هم المنافقون الذين في قلوبهم مرض[5] .

---

(1) انظر: دين الله واحد، أبو رية (ص84-89).

(2) المائدة: 65.

(3) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (ج461/10)، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ج147/3).

(4) المائدة: 51-53.

(5) انظر: جامع البيان، الطبري (ج400/10).

3- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ(1) هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ(2) وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذابُ النَّارِ(3) ذلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ(4)﴾ [1] .

وهذه الآيات صريحة في تكفير أهل الكتاب ممن لم يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بعد بعثته، فهذه الآيات تتحدث عن بني النضير وهم من نسل هارون عليه السلام، وهذا رد على أبي رية في أن اليهود والنصارى بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم على ضلال وهم كفار ولا يعذر إنسان بموالاتهم أو محبة ما هم عليه من ضلال[2] .

المطلب الرابع: موقفه من وحدة الأديان

أولاً: موقفه من وحدة الأديان:

لقد كان لأبي رية دعوة صريحة إلى توحيد الأديان ونبذ الخلافات الدينية، وهذه الدعوة مبنية على معتقده في وحدة أصول الديانات، وصواب ما هم عليه جميعاً والسبق لمن التزم بشرع الله أكثر سواء قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم أو بعدها[3] ، ولا أدري أين غابت عنه سورة محمد صلى الله عليه وسلم؟، ومن المقرر من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة أن الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ركن من أركان الإيمان؛ بل وصل به التجاوز أن يتنبأ بأن الأديان كلها في المستقبل ستنصهر حتى تصبح ديناً واحداً هو دين المستقبل! [4] .

ولا شك أن أبا رية في ذلك تأثر بآراء الأفغاني ومحمد عبده في التقارب مع أهل الأديان الأخرى، وأن أصل الأديان كلها واحد وغايتها ومقصدها، لذلك نقل عنهم وأكثر عنهما في النقل في هذا الجانب، كما امتدح جهود جمعية التقارب بين الأديان التي أسسها الأفغاني والقس طيلر[5] .

---

(1) الحشر: 1-4.

(2) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج18/2).

(3) راجع كلامه في كتابه دين الله واحد (ص81-89).

(4) المرجع السابق (ص126).

(5) المرجع نفسه (ص103-105).

ونقل كلمة حاخام اليهود في مصر وعنوانها (الحرية تؤدي إلى الإخاء والمساواة، تباين العقائد لا يحول دون الاتحاد بين القلوب) [1] ، وكذلك نقل عن القس طيلر الذي امتدح الإسلام والمسلمين وحاول أن يقارب بين المسلمين والنصارى ويعتبر أن الاختلاف بينهم كما الاختلاف بين الطوائف النصرانية في تأويل النصوص[2] .

ثم دفعته وجهته من توحيد الأديان ليجتهد في تأويل مغزى كلمات السيد المسيح، ليؤكد أن الكلام المنسوب للسيد المسيح ما قصد به عقيدة التثليث، ولا أنه ابناً لله بما تعنيه كلمة الأبوة وتقتضيه البنوة، وإنما هي كلمات أشبه ما تكون بكلمات المتصوفة الذين يطلقون ألفاظاً ويريدون معنى خاص[3] .

وأبو رية أخذ هذه الأقوال المنسوبة للسيد المسيح على أنها قطعية الثبوت، ومن ثم أخذ يؤولها، فلماذا لم يشكك في نسبة هذه الأقوال للسيد المسيح بهذه الصيغة؟!

هذا ما يدعو إلى العجب من أبي رية ووجهته المخيفة التي تناقض الأصول المقررة في عقيدة المسلمين.

ثانياً: الرد عليه من خلال تبيين موقف أهل السنة والجماعة من دعوات توحيد الأديان:

1- قال ابن حزم: "اتفق المسلمون على تسمية اليهود والنصارى كفاراً"[4] ، وقال ابن تيمية: "معلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوّغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر"[5] .

2- وقال ابن تيمية في تفسير هذه الآية: **﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ﴾**[6] ، وليس أحد بعد مبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلا من الذين أوتوا الكتاب أو الأميين، وكل أمة لم تكن من الذين أوتوا الكتاب فهم

(1) دين الله واحد، أبو رية (ص90).
(2) انظر: المرجع السابق (ص92-103).
(3) نفس المرجع نفسه (ص109).
(4) مراتب الإجماع، ابن حزم (ص139).
(5) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (ج28/524).
(6) آل عمران: 20

من الأميين؛ كالأميين من العرب ومن الخزر[1] ، والصقالبة[2] ، والهند، والسودان وغيرهم من الأمم الذين لا كتاب لهم، فهؤلاء كلهم أميون، والرسول مبعوث إليهم كما بعث إلى الأميين من العرب، قوله: {وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ} وهو إنما يخاطب الموجودين في زمانه بعد النسخ والتبديل يدل على أن من دان بدين اليهود والنصارى، فهو من الذين أوتوا الكتاب، لا يختص هذا اللفظ بمن كانوا متمسكين به قبل النسخ والتبديل، ولا فرق بين أولادهم وأولاد غيرهم، فإن أولادهم إذا كانوا بعد النسخ والتبديل ممن أوتوا الكتاب، فكذلك غيرهم إذا كانوا كلهم كفاراً"[3] .

---

(1) والخزر: هي بلاد الترك خلف باب الأبواب المعروف بالدّربند قريب من سدّ ذي القرنين، ويقولون: هو مسمى بالخزر ابن يافث بن نوح، عليه السلام، وقيل الخزر اسم إقليم من قصبة تسمّى إتل، وإتل اسم لنهر يجري إلى الخزر من الروس وبلغار، وإتل مدينة، والخزر اسم المملكة لا اسم مدينة. معجم البلدان، الحموي (ج367/2).

(2) والصقالبة بالفتح ثمّ السكون، وفتح اللام، وآخره باء موحدة، قال ابن الأعرابي: الصّقلاب الرجل الأبيض، وقال أبو عمرو: الصقلاب الرجل الأحمر، قال أبو منصور: الصقالبة جيل حمر الألوان صهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر في أعالي جبال الروم، وقال غيره: الصقالبة بلاد بين بلغار وقسطنطينية وتنسب إليهم الخرم الصقالبة واحدهم صقلبيّ، وقال ابن الكلبي: ومن أبناء يافث بن نوح، عليه السلام، يونان والصقلب والعبدر وبرجان وجرزان وفارس والروم فيما بين هؤلاء والمغرب، وصقلب أيضا: بالأندلس من أعمال شنترين وأرضها أرض زكيّة يقال إن المكّوك إذا زرع في أرضها ارتفع منه مائة قفيز وأكثر، وبصقليّة أيضا موضع يقال له صقلب ويقال له أيضا حارة الصقالبة، بها عيون جارية، تذكر في صقلية، وقال المسعودي: الصقالبة أجناس مختلفة ومساكنهم بالحربي إلى شلو في المغرب، وبينهم حروب، ولهم ملوك فمنهم من ينقاد إلى دين النصرانية اليعقوبية ومنهم من لا كتاب له ولا شريعة، وهم جاهلون، وأشجعهم جنس يقال له السّري يحرقون أنفسهم بالنار إذا مات منهم ملك أو رئيس ويحرقون دوابّهم، ولهم أفعال مثل أفعال الهند، وفي بلاد الخزر صنف كثير منهم، فالأوّل من ملوك الصقالبة ملك الدير وله عمائر كثيرة وتجّار المسلمين يقصدون مملكته بأنواع التجارات، ثمّ يلي هذه المملكة من ملوك الصقالبة ملك الفرنج وله معدن ذهب ومدن وعمائر كثيرة وجيوش كثيرة وتجارات الروم، ثمّ يلي هذا الملك من الصقالبة ملك الترك، وهذا الملك من بلاد الصقالبة وهذا الجنس منهم أحسن الصقالبة صورا وأكثرهم عددا وأشدّهم بأسا، وكانوا من قبل ينقادون إلى ملك واحد ثمّ اختلفت كلمتهم وصار كلّ ملك برأسه. معجم البلدان، الحموي (ج416/3).

(3) الإيمان، ابن تيمية، (ص48−49).

3- وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة[1] : "إن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان".

4- وإذا كان هناك إجماع عند أهل الملة على تكفير اليهود والنصارى وكل من لا يؤمن بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف سيوحد أبو رية بين أهل الأديان الثلاثة؟، يقول الإمام الغزالي: "الأصل المقطوع به أن كل من كذب محمداً صلى الله عليه وسلم فهو كافر أي مخلد في النار بعد الموت، ومستباح الدم والمال في الحياة، إلى جملة الأحكام، إلا أن التكذيب على مراتب[2] :

المرتبة الأولى: تكذيب اليهود والنصارى وأهل الملل كلهم من المجوس وعبدة الأوثان وغيرهم، فتكفيرهم منصوص عليه في الكتاب ومجمع عليه بين الأمة، وهو الأصل وما عداه كالملحق به.

المرتبة الثانية: تكذيب البراهمة[3] المنكرين لأصل النبوات، والدهرية المنكرين لصانع العالم، وهذا ملحق بالمنصوص بطريق الأولى، لأن هؤلاء كذبوه وكذبوا غيره من الأنبياء، أعني البراهمة، فكانوا بالتكفير أولى من النصارى واليهود، والدهرية أولى بالتكفير من البراهمة لأنهم أضافوا إلى تكذيب الأنبياء إنكار المرسل ومن ضرورة إنكار النبوة، ويلتحق بهذه المرتبة كل من قال قولاً لا تثبت النبوة في أصلها أو نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الخصوص إلا بعد بطلان قوله.

المرتبة الثالثة: الذين يصدقون بالصانع والنبوة ويصدقون النبي، ولكن يعتقدون أموراً تخالف نصوص الشرع ولكن يقولون إن النبي محق، وما قصد بما ذكره إلا صلاح الخلق ولكن لم يقدر على التصريح بالحق لكلال أفهام الخلق عن دركه، وهؤلاء هم الفلاسفة، ويجب القطع بتكفيرهم في ثلاثة مسائل وهي: إنكارهم لحشر الأجساد والتعذيب بالنار، والتنعيم في الجنة بالحور العين والمأكول والمشروب والملبوس، والثانية: قولهم إن الله لا يعلم الجزئيات وتفصيل الحوادث وإنما يعلم الكليات، وإنما الجزئيات تعلمها الملائكة

---

(1) فتاوى اللجنة الدائمة (85/2).

(2) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي (ص134).

(3) والبراهمة هم هنود ينفون الرسائل، ومنهم من يقولون بالتوحيد والثواب والعقاب ويبطلون الرسالة، ومنهم من يقولون بالثواب والعقاب على التناسخ ويبطلون التوحيد والرسالة. البدء والتاريخ، ابن طاهر المقدسي (ج9/4).

السماوية، والثالثة: قولهم إن العالم قديم وإن الله تعالى متقدم على العالم بالرتبة مثل تقدم العلة على المعلول، وإلا فلم تر في الوجود إلا متساويين، وهؤلاء إذا أوردوا عليهم آيات القرآن زعموا أن اللذات العقلية تقصر الأفهام عن دركها، فمثل لهم ذلك باللذات الحسية وهذا كفر صريح، والقول به إبطال لفائدة الشرائع وسد لباب الاهتداء بنور القرآن واستبعاد للرشد من قول الرسل، فإنه إذا جاز عليهم الكذب لأجل المصالح بطلت الثقة بأقوالهم فما من قول يصدر عنهم إلا ويتصور أن يكون كذباً، وإنما قالوا ذلك لمصلحة، فإن قيل: فلم قلتم مع ذلك بأنهم كفرة؟ قلنا لأنه عرف قطعاً من الشرع أن من كذب رسول الله فهو كافر.

المرتبة الرابعة: المعتزلة[1] ، والمشبهة[2] والفرق كلها سوى الفلاسفة، وهم الذين يصدقون ولا يجوزون الكذب لمصلحة وغير مصلحة، ولا يشتغلون بالتعليل لمصلحة الكذب، بل بالتأويل ولكنهم مخطئون في التأويل، فهؤلاء أمرهم في محل الاجتهاد، والذي ينبغي أن يميل المحصل إليه الاحتراز من التكفير ما وجد إليه سبيلاً، فإن استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة المصرحين بقول لا إله إلا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم، وقد قال صلى الله عليه وسلم: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، محمدٌ رسول الله، فإذا قالوها فقدْ عصموا مني دِماءَهم وأَموالَهم إلا بِحقِها»[3] ، وهذه الفرق منقسمون إلى مسرفين وغلاة،

---

(1) المعتزلة: فرقة كلامية عقلية، وأصل مذهبهم القول بالأصول الخمس وهي: التوحيد، والعدل، والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمنزلة بين المنزلتين، وسبب تسميتهم معتزلةً لأن واصل بن عطاء زعيمهم اعتزل مجلس الحسن البصري رحمه الله؛ وذلك أن الناس اختلفوا في مرتكبي الكبائر، فقالت الخوارج كلهم كفار، وقالت المرجئة هم مؤمنون، وقال الحسن هم منافقون، فقال واصل هم في منزلة بين المنزلتين، وأجمعت المعتزلة على أنه لا يجوز القول بجواز الرؤية على الله عز وجل. انظر: البدء والتاريخ، ابن طاهر المقدسي (ج142/5).

(2) المشبهة: هم من يشبهون الله بالمخلوقات فمنهم من يشبهون الله بالبشر، ومنهم من يشبهه بالسراج، ومنهم من يشبهه بالنور الذي نراه، وهم فرق: الهشامية، والمغيرية، واليمانية، والمقاتلية، والكرامية، والجواربية. انظر: البدء والتاريخ، ابن طاهر المقدسي (ج139/5).

(3) والحديث كاملاً: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» صحيح البخاري، البخاري، كتاب الإيمان، باب {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم}(ج14/1) حديث رقم:25، واللفظ عند مسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله، ونفسه، إلا بحقه وحسابه على الله " كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (ج51/1) حديث رقم:20.

وإلى مقتصدين بالإضافة إليهم، ثم المجتهد يرى تكفيرهم وقد يكون ظنه في بعض المسائل وعلى بعض الفرق أظهر، وتفصيل آحاد تلك المسائل يطول ثم يثير الفتن والأحقاد، فإن أكثر الخائضين في هذا إنما يحركهم التعصب واتباع تكفير المكذب للرسول، وهؤلاء ليسوا مكذبين أصلاً ولم يثبت لنا أن الخطأ في التأويل موجب للتكفير، فلا بد من دليل عليه، وثبت أن العصمة مستفادة من قول لا إله إلا الله قطعاً، فلا يدفع ذلك إلا بقاطع، وهذا القدر كاف في التنبيه على أن إسراف من بالغ في التكفير ليس عن برهان فإن البرهان إما أصل أو قياس على أصل، والأصل هو التكذيب الصريح ومن ليس بمكذب فليس في معنى الكذب أصلاً فيبقى تحت عموم العصمة بكلمة الشهادة[1] .

المرتبة الخامسة: من ترك التكذيب الصريح ولكن ينكر أصلاً من أصول الشرعيات المعلومة بالتواتر من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كقول القائل: الصلوات الخمس غير واجبة، فإذا قرئ عليه القرآن والأخبار قال: لست أعلم صدر هذا من رسول الله، فلعله غلط وتحريف، وكمن يقول: أنا معترف بوجوب الحج ولكن لا أدري أين مكة وأين الكعبة، ولا أدري أن البلد الذي تستقبله الناس ويحجونه هل هي البلد التي حجها النبي عليه السلام ووصفها القرآن، فهذا أيضاً ينبغي أن يحكم بكفره لأنه مكذب ولكنه محترز عن التصريح، وإلا فالمتواترات تشترك في دركها العوام والخواص وليس بطلان ما يقوله كبطلان مذهب المعتزلة، فإن ذلك يختص لدركه أولوا البصائر من النظار إلا أن يكون هذا الشخص قريب العهد بالإسلام ولم يتواتر عنده بعد هذه الأمور فيمهله إلى أن يتواتر عنده، ولسنا نكفره لأنه أنكر أمراً معلوماً بالتواتر، وإنه لو أنكر غزوة من غزوات النبي صلى الله عليه وسلم المتواترة أو أنكر نكاحه حفصة بنت عمر رضي الله عنها، أو أنكر وجود أبي بكر وخلافته لم يلزم تكفيره لأنه ليس تكذيباً في أصل من أصول الدين مما يجب التصديق به بخلاف الحج والصلاة وأركان الإسلام، ولسنا نكفره بمخالفة الإجماع"[2] .

(1) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي (ص134-136)، وهذه الخلاصة التي وصل إليها الغزالي في المرتبة الرابعة من أنهم ليسوا مكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم، فهم بذلك مسلمون ولا يخرجهم التأويل الفاسد عن الإسلام، هادم لهذه المرتبة فكان أولى به أن لا يأتي بها، أو يدمجها مع المرتبة الخامسة إذا كان هناك إنكار متعمد للمتواتر.

(2) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي (ص134-136).

المبحث الثاني

موقف محمود أبو رية في رده لأحاديث نبوية عقدية رغم صحتها

المطلب الأول: رده لأحاديث متعلقة بالله عز وجل

أنكر أبو رية أحاديث تتعلق بصفات الله عز وجل وعنون لها بالأحاديث المشكلة وكأنه لم يستطع أن يتقبلها عقلاً، مع أن هذه الأحاديث متفق على صحتها، وليس من الضروري أن تتصور الآلة القاصرة المخلوقات التي لم ترها العين الباصرة فضلاً عن أن تتصور الخالق العظيم وصفاته، ومن هذه الأحاديث التي ردها:

1-حديث (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة)، وذكره تحت عنوان أحاديث متناقضة[1] **:**

ونص الحديث: حدثنا آدم، حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد رضي الله عنه، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَمُؤْمِنَةٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»[2] .

الرد على أبي رية بفهم معنى الحديث: رد أبو رية الحديث لأنه متناقض -على حد زعمه- ولعله أراد بالتناقض قصور فهمه لمعنى الحديث، وأنه عقلاً غير متصور، والمعتمد عند أهل العلم أن إعمال العقل في صفات الله وكيفيتها مرفوض، فيكون تعليل أبي رية بأن الحديث متناقض في غير محل النزاع، فلا داعي للحكم عقلاً على هذه الأحاديث من حيث الأصل، وهو بذلك نفى ما هو ثابت شرعاً بعدم قبول عقله لهذا الحديث، وهو منهج منحرف للحكم على الأحاديث ومفادها، قَالَ الْخَطَّابِيّ: هَذَا مِمَّا تهيب القَوْل فِيهِ شُيُوخنَا، وأجروه عَلَى ظَاهر لَفظه، وَلَمْ يكشفوا عَنْ بَاطِن مَعْنَاهُ عَلَى نَحْو مَذْهَبهم فِي التَّوَقُّف فِي تَفْسِير كُلّ مَا لَا يُحِيط الْعلم بكنهه من هَذَا الْبَاب، وَقَدْ تَأَوَّلَه بَعْضهم عَلَى معنى قَوْله: **﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾**[3] ، فَروِيَ عَنِ ابْنِ

---

(1) انظر: أضواء على السنة المحمدية، أبو رية (ص204)، وعلل أبو رية رده للحديث بأنه متناقض، أي لم يتقبله عقلاً.

(2) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير سور القرآن "سورة القلم"، باب {يوم يكشف عن ساق} (ج159/6)، حديث رقم: 4919.

(3) القلم: 42

عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: عَنْ شدَّة وكرب، وَسُئِلَ عِكْرِمَةَ عَنْ قَوْله: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}، قَالَ: إِذَا اشْتَدَّ الْأَمر فِي الْحَرْب، قِيلَ: كشفت الْحَرْب عَنِ السَّاق[1] ، وفي هذا المعنى ما أخرجه مسلم في صحيحه: « ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ. فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟، فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَذَلِكَ يَوْمَ {يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}[2] ، وَذَلِكَ يَوْمَ {يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}[3] » [4] .

وما سبق من كلام الخطابي وما نقله عن ابن عباس هو أحد مذهبي أهل السنة في تفسير هذا الحديث، والمذهب الثاني ما نقله الشوكاني وخلاصته: إن قول ابن عباس رضي الله عنهما، معارض بما ثبت عن ابن مسعود أن ربنا يكشف عن ساقه سبحانه، بل مردود بتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم للآية، فقد أخرج الشيخان واللفظ للبخاري، عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد رياءً وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً» وفي هذا اللفظ تصريح: (عن ساقه)، قال الشوكاني رحمه الله في تفسير هذه الآية "قد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك لا يستلزم تجسيماً ولا تشبيهاً فليس كمثله شيء"[5] .

2-حديث (يضع ربنا عز وجل رجله): وهو أيضاً من الأحاديث التي ردها أبو رية، وعده من الأحاديث المشكلة[6] :

ونص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ والْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسقطهم؟ قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أرحم بِكِ مِنْ أَشَاءُ من عبادي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أعذب بك من أشاء من عبادي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهما مِلْؤُهَا، فأَمَّا النَّارُ

---

(1) شرح السنة، البغوي (ج148/15).

(2) المزمل: 17

(3) القلم: 42.

(4) صحيح مسلم، مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه (ج2258/4)، حديث رقم2940.

(5) فتح القدير، الشوكاني (ج332/5).

(6) انظر: أضواء على السنة المحمدية، أبو رية (ص204)، والإشكال فيما يظهر من كلامه راجع لعدم تقبل عقله للفظ فيضع الله قدمه في النار.

فَلَا تمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ رجله، فتَقُولُ: قَطْ قَطْ، فهنالك تمتلئ وَيزَوِيَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأَمَّا الْجَنَّةُ فإن الله عز وجل يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا»[1] .

الرد على أبي رية: من حيث صحة الحديث وفهم معناه:

أولاً: أما عن صحة الحديث: قال البغوي: "هَذَا حَدِيثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صِحَّتِهِ، أَخْرَجَهُ مُحَمَّدٌ عَنْ آدَم، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ بْن حُمَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْن مُحَمَّد، عَنْ شَيْبَانَ"[2] .

ثانياً: شرح الحديث: لا إشكال في أن صفات الله لا يرجع في فهم كيفيتها للعقل، وأن الله في صفاته لا يشبه البشر، وأما عن المحاجة فهي جارية على التحقيق، فإنه تعالى قادر على أن يجعل كل واحدة من الجنة والنار مميزة مخاطبة، أو على التمثيل، قال القاري: والأول هو المعول عليه؛ لأن مذهب أهل السنة على ما في المعالم أن لله عالماً في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء، لا يقف عليها غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية، فيجب على المرء الإيمان به، ويكل علمه إلى الله سبحانه[3] .

قُال البغوي: "والقدم وَالرجلَانِ الْمَذْكُورَان فِي هَذَا الْحَدِيث من صِفَات اللَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، المنزه عَنِ التكييف والتشبيه، وَكَذَلِكَ كُلّ مَا جَاءَ من هَذَا الْقَبِيل فِي الْكِتَاب أَوِ السّنة كَالْيَدِ، والإصبع، وَالْعين، والمجيء، والإتيان، فالإيمان بِهَا فرض، والامتناع عَنِ الْخَوْض فِيهَا وَاجِب، فالمهتدي من سلك فِيهَا طَرِيق التَّسْلِيم، والخائض فِيهَا زائغ، وَالْمُنكر معطل، والمكيف مشبه، تَعَالَى اللَّه عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ علواً كَبيراً[4] ، ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾"[5].

قال النووي: وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُولَى فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مَشَاهِيرِ أَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَقَدْ سَبَقَ مَرَّاتٍ بَيَانُ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا عَلَى مَذْهَبَيْنِ: أَحَدُهُمَا: وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ السَّلَفِ وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم فِي تَأْوِيلِهَا؛ بَلْ نُؤْمِنُ أَنَّهَا حَقٌّ عَلَى مَا أَرَادَ اللَّهُ ، وَلَهَا مَعْنَى يَلِيقُ بِهَا وَظَاهِرُهَا غَيْرُ مُرَادٍ، وَالثَّانِي: وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَنَّهَا تُؤول بِحَسَبِ مَا

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب تفسير القرآن(سورة ق)، باب قوله: {وتقول هل من مزيد} (ج138/6) حديث رقم: 4849،4850بلفظ قدمه، 4848، وصحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء(ج2186/4)حديث رقم: 2848،2847،2846، بلفظ قدمه، ورجله، وكذلك حديث "يضع ربنا قدمه في النار فتنزوي".

(2) شرح السنة، البغوي (ج256/15).

(3) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، القاري (ج3628/9).

(4) شرح السنة، البغوي(ج257/15–258).

(5) الشورى: 11.

يَلِيقُ بِهَا، فَعَلَى هَذَا اخْتَلَفُوا فِي تَأْوِيلِ هَذَا الْحَدِيثِ فَقِيلَ الْمُرَادُ بِالْقَدَمِ هُنَا الْمُتَقَدِّمُ، وَهُوَ شَائِعٌ فِي اللُّغَةِ، وَمَعْنَاهُ حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مَنْ قَدَّمَهُ لَهَا مِنْ أَهْلِ الْعَذَابِ، قَالَ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي هَذَا تأويل النضر بن شميل ونحوه عن ابن الْأَعْرَابِيِّ، الثَّانِي أَنَّ الْمُرَادَ قَدَمُ بَعْضِ الْمَخْلُوقِينَ، فَيَعُودُ الضَّمِيرُ فِي قَدَمِهِ إِلَى ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الْمَعْلُومِ، الثَّالِثُ أَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنَّ فِي الْمَخْلُوقَاتِ مَا يُسَمَّى بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ، وَأَمَّا الرِّوَايَةُ الَّتِي فِيهَا يَضَعُ اللَّهُ فِيهَا رِجْلَهُ فَقَدْ زَعَمَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرِ بْنِ فَوْرَكَ أَنَّهَا غَيْرُ ثَابِتَةٍ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ؛ وَلَكِنْ قَدْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ فَهِيَ صَحِيحَه، وَتَأْوِيلُهَا كَمَا سَبَقَ فِي الْقَدَمِ وَيَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يُرَادَ بِالرِّجْلِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ(1) .

وهذا السؤال موجه لأتباع منهج أبي رية: إذا كان وجه الإنكار هو أَنَّ الله تعالى يضع رجله، ففي القرآن جاء إثبات اليد والوجه والعين وغير ذلك، وإنْ كان وجه الإنكار أنهما تتخاصمان وتتكلمان فهل هذا مستنكر على الله الذي أنطق كل شيء؟، وهل يلزم من هذا التخاصم أَنْ يفهمه أَبُو رِيَّةَ وإلاَّ كان باطلاً، وإنْ كان سبب الاستغراب والإنكار أَنْ يأتي الله إلى النار، فإنَّ القرآن أثبت المجيء يوم القيامة: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾(2) .

إنَّ تحكيم العقل في مسألة الألوهية وصفاتها من سخافة العقل نفسه، ولا تؤدي عند هؤلاء المغتربين بعقولهم إلاَّ إلى الإلحاد والزندقة، وذلك لأَنَّ العقل الإنساني مهما بلغ من الذروة والكمال يبقى قاصرًا عن فهم كثير من الحقائق وخاصة المتعلقة منها بالألوهية وصفاتها والأمور التعبدية(3) .

3-الحديث الثالث الذي رده أبو رية: (خلق الله آدم على صورته):

وعلّل أبو رية رده للحديث -على زعمه- أنه من الإسرائيليات التي أخذها أبو هريرة من كعب الأحبار(4) .

ونص الحديث: عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ النَّفَرِ -وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ جُلُوسٌ- فَاسْتَمِعْ إِلَى مَا يُجِيبُونَكَ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: فَذَهَبَ، فَقَالَ:

---

(1) شرح صحيح مسلم، النووي (ج183/17).

(2) الفجر: 22.

(3) السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر غلام رسول (ص151).

(4) أبو هريرة، أبو رية (ص96)، وعلل رده للحديث بأنه من الاسرائيليات التي جاءت في التوراة، ثم ذكره مرة ثانية على أنه مثال مما يخالف العقول السليمة (ص247) من نفس الكتاب.

السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللَّهِ، قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الْآنَ»[1] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وعن ابن حاتم، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قاتلَ أَحَدُكُمْ أخاه، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ »[2] .

الرد على أبي رية في إثبات الحديث وتوضيح معناه:

أهل السنة في معنى هذا الحديث على مذهبين: أي رجوع الضمير(صورته) هل تعود على الله أم على آدم؟

نقل الشيخ أبو شهبة هذين المذهبين في تعليقه على الحديث، فقال: "الحديث صحيح من جهة سنده ومن جهة متنه ومعناه، سواء أكان الضمير في صورته راجعًا لآدم أو راجعًا لله –عَزَّ وَجَلَّ– كما في الرواية الأخرى: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ عَلَى صُورَةِ الرَّحْمَنِ»[3] ، فإن كان الضمير لآدم – وهو الراجح الذي ينبغي أن يصار إليه على مقتضى القواعد العربية– فالأمر ظاهر، ويكون المعنى إن الله أوجده على هذه الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً ولا تردد في الأرحام أطوارًا كذريته، بل خلقه رجلاً كاملاً سَوِيًّا من أول ما نفخ فيه الروح، وفي هذا أبلغ الرَدِّ على الطبيعيين والماديين، وإن قلنا إن الضمير يعود على البارئ جَلَّ وَعَلاَ – فالكلام في هذا معروف مشهور، فمذهب السلف الإيمان به كما ورد، وإمراره من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تكييف مع تفويض علم معرفة الحقيقة إلى الله، ومذهب الخلف تأويله بما يتفق هو واللغة والشرع والعقل، والتأويل في مثل هذا سهل وقريب: أي على صفته من الحياة والعلم والسمع والبصر ونحوها"[4] .

وقال البيهقي: هَذَا حَدِيثٌ مَخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ، أي أنه صحيح لا شك في صحته، وَقَدْ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ –رَحِمَهُ اللَّهُ– قَوْلُهُ: «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» الْهَاءُ وَقَعَتْ كِنَايَةً بَيْنَ اسْمَيْنِ ظَاهِرَيْنِ، فَلَمْ تَصْلُحْ أَنْ تُصْرَفَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِقِيَامِ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِذِي صُورَةٍ سُبْحَانَهُ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَكَانَ مَرْجِعُهَا إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَالْمَعْنى أَنَّ ذُرِّيَّةَ آدَمَ إِنَّمَا خُلِقُوا أَطْوَارًا كَانُوا فِي مَبْدَأِ الْخِلْقَةِ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ مُضْغَةً، ثُمَّ صَارُوا صُوَرًا أَجَنَّةً إِلَى أَنْ

---

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الاستئذان باب بدء السلام (ج50/8) حديث رقم: 6227.

(2) صحيح مسلم، مسلم، كتاب باب النهي عن ضرب الوجه (ج2017/4) حديث رقم: 2612.

(3) كتاب السنة، ابن أبي عاصم الشيبان، (ج230/1) حديث رقم:521، علق عليه الألباني: رجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنه سيء الحفظ، وإنما يصح الحديث بلفظ على صورته دون ذكر الرحمن.

(4) دفاع عن السنة النبوية، أبو شهبة (ج131/1).

تَتِمَّ مُدَّةُ الْحَمْلِ، فَيُولَدُونَ أَطْفَالًا، وَيَنْشَأُونَ صِغَارًا، إِلَى أَنْ يَكْبَرُوا فَتَطُولَ أَجْسَامُهُمْ، يَقُولُ: إِنَّ آدَمَ لَمْ يَكُنْ خَلْقُهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، لَكِنَّهُ أَوْ لَمَّا تَنَاوَلَتْهُ الْخِلْقَةُ وُجِدَ خَلْقًا تَامًّا، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ أَنَّ آدَمَ كَانَ مَخْلُوقًا عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ، لَمْ تُشَوَّهْ صُورَتُهُ، وَلَمْ تُغَيَّرْ خِلْقَتُهُ، وأما الرواية التي عند مسلم ««إذا قاتلَ أحدُكم أخاه، فليجتنبْ الوجه، فإنَّ اللهَ خلقَ آدمَ على صورتِه»[1] ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَةِ هَذَا الْمَضْرُوبِ.

وَهَكَذَا الْمُرَادُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَخْبَرَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ الْمُقْرِئُ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، وَلَا يَقُلْ: قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ، وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ"[2] ، وَذَهَبَ بَعْضُ أَهْلِ النَّظَرِ إِلَى أَنَّ الصُّوَرَ كُلَّهَا لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَعْنَى الْمِلْكِ وَالْفِعْلِ، ثُمَّ وَرَدَ التَّخْصِيصُ فِي بَعْضِهَا بِالْإِضَافَةِ تَشْرِيفاً وَتَكْرِيماً، كَمَا يُقَالُ: نَاقَةُ اللَّهِ، وَبَيْتُ اللَّهِ، وَمَسْجِدُ اللَّهِ، وَعَبَّرَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ ابْتَدَأَ صُورَةَ آدَمَ لَا عَلَى مِثَالٍ سَبَقَ، ثُمَّ اخْتَرَعَ مَنْ بَعْدَهُ عَلَى مِثَالِهِ، فَخُصَّ بِالْإِضَافَةِ وَاللَّهُ وَأَعْلَمُ[3] .

وهذا النقل الذي جاء به البيهقي نقلاً عن الخطابي غير مسلم به عند فريق من أهل السنة، يعبر عن ذلك ابن عثيمين رحمه الله: فقال أن الله عز وجل خلق آدم على صورته، لا يستلزم مشابهة المخلوق للخالق، فهو سبحانه له وجه وعين وله يد ورجل سبحانه وتعالى، وآدم له وجه وله عين وله يد وله رجل، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل؛ ولا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة لصفات المخلوقين، وعليه فالواجب هو إثبات أنَّ الله تعالى خلَقَ آدم على صورته عزَّ وجلَّ كما أخْبَرَ الحديث، وأنَّ هذا لا يَسْتَلزم التشبيه بل لا بد أن يكون ذلك في إطار قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[4] ، فالله عزَّ وجلَّ سميع بصير، والإنسان سميع بصير، ومع ذلك لم يَلْزَم من إثبات ما أثبَتَته النصوص من السَّمْع والبصر تشبيهُ الله تعالى بخلْقِه الموصوفين بتلك الصِّفات، تعالى اللهُ عن ذلك علوًّا كبيرًا،

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه (ج2017/4) حديث رقم: 2612.

(2) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، باب أبي هريرة (ج382/12) حديث رقم: 7420، صحيح ابن حبان، ابن حبان،: كتاب الحظر والإباحة، ذكر الزجر عن قول المرء لأخيه: قبح الله وجهك (ج18/13) حديث رقم: 5710.

(3) انظر: الأسماء والصفات، البيهقي (ج62/2-63)، شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ج70/7).

(4) الشورى: 11.

وحديث الصورة المذكور هو من جملة النصوص التي أثبَتَها الله تعالى لنفسه وهو سبحانه أعلم بالكيفية والكُنْهِ، وما على المؤمن الحقّ إلاَّ التَّسليم له تعالى فيما أخبر، وإثبات ما أثبت[1] .

وعند أهل السنة في مذهبيهما الحديث ثابت لا إشكال في صحته، والعقل الذي حكم به أبو رية في رده للحديث يجيز تصور كلا المذهبين عند أهل السنة والجماعة، ولا حاجة لنا بمذهب جديد كمذهب أبي رية قائم على التشكيك.

كما رد أبو رية أحاديث صحيحة أخرى[2] ، معللاً ذلك بأنها من الإسرائيليات، أو من عجائب أبي هريرة، أو مما هو مخالف للعقول.

المطلب الثاني: رده لأحاديث متعلقة في حق الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم

1- رده لحديث (لطم موسى ملك الموت...) وعلل رده للحديث بأنه مما يخالف العقل السليم والنبيه[3] :

ونص الحديث: عن أبي هريرة، قال: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَا يُرِيدُ الْمَوْتَ، قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ فَلَهُ مَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالْآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ»[4] .

الرد على أبي رية بفهم معنى الحديث وثبوته[5] :

نقل النووي عن الْمَازِرِيُّ: وَقَدْ أَنْكَرَ بَعْضُ الْمَلَاحِدَةِ هَذَا الْحَدِيثَ وَأَنْكَرَ تَصَوُّرَهُ قَالُوا كَيْفَ يَجُوزُ عَلَى مُوسَى فَقْءُ عَيْنِ مَلَكِ الْمَوْتِ، قَالَ وَأَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْ هَذَا بِأَجْوِبَةٍ:

---

(1) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، العثيمين (ج359/2).

(2) كحديث (خلق الله التربة السبت)، وحديث (وقع في نفس موسى هل ينام الله؟) وحديث (ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل) وحديث (أن الله خلق آدم فمسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، أمثال الذر) وفيما ذكرنا من أمثلة كفاية. انظر: أبو هريرة (ص96-97- 98-245-256).

(3) أبو هريرة، أبو رية (ص244).

(4) صحيح مسلم، مسلم: كتاب الفضائل، باب فضل موسى عليه السلام (ج1842/4) حديث رقم: 2372، ومسند أحمد، أحمد(ج84/13) حديث رقم: 7646.

(5) فتح الباري، العسقلاني (ج442/6).

أَحَدُهَا: أَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ مُوسَى عليه السلام قد أذن اللَّهُ تَعَالَى لَهُ فِي هَذِهِ اللَّطْمَةِ وَيَكُونَ ذَلِكَ امْتِحَانًا لِلْمَلْطُومِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَفْعَلُ في خلقه ما شاء وَيَمْتَحِنُهُمْ بِمَا أَرَادَ.

الثَّانِي: أَنَّ هَذَا عَلَى الْمَجَازِ وَالْمُرَادُ أَنَّ مُوسَى نَاظَرَهُ وَحَاجَّهُ فَغَلَبَهُ بِالْحُجَّةِ وَيُقَالُ فَقَأَ فُلَانٌ عَيْنَ فُلَانٍ إِذَا غالبه بالحجة ويقال عورت الشيء إِذَا أَدْخَلْتُ فِيهِ نَقْصًا قَالَ وَفِي هَذَا ضَعْفٌ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَدَّ اللَّهُ عَيْنَهُ فَإِنْ قِيلَ أَرَادَ رَدَّ حُجَّتَهُ كَانَ بَعِيدًا.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَظَنَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَصَدَهُ يُرِيدُ نَفْسَهُ فَدَافَعَهُ عَنْهَا فَأَدَّتِ الْمُدَافَعَةُ إِلَى فَقْءِ عَيْنِهِ لَا أَنَّهُ قَصَدَهَا بِالْفَقْءِ وَتُؤَيِّدُهُ رِوَايَةُ صَكَّهُ وَهَذَا جَوَابُ الْإِمَامِ أَبِي بَكْرِ بْنِ خُزَيْمَةَ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَاخْتَارَهُ الْمَازِرِيُّ وَالْقَاضِي عِيَاضٌ[1].

الرابع: وقال غيرهم إنما لطمه لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره لما ثبت أنه لم يقبض نبي حتى يخير؛ فلهذا لما خيره في المرة الثانية أذعن[2] .

فكيف يرد أبو رية حديث صحيح عند أهل السنة والجماعة، وبيّن أهل العلم وجوهاً في تفسيره؟ وهل يكفي عقل أبي رية القاصر في رد الأحاديث وقبولها، وأي عقل يقصده أصحاب الوجهة العقلية في الحكم على الأحاديث والعقائد، هل عقول الفلاسفة؟ وكلام كل واحد ينقض ما قبله، أم عقول الأدباء؟ أم عقول علماء الطب والهندسة؟ وهؤلاء ليس لهم في هذا العلم، أم عقول الفقهاء؟ وهم مذاهب مختلفة، أم عقول المحدثين؟ وأنتم تتهمونهم بالجمود[3] .

2- رده لحديث "أن سليمان قال لأطوفن الليلة بمائة امرأة"، وسبب رده أنه ذكره من أمثلة ما قاله أبو هريرة مخالفاً للعقول السليمة[4] :

نص الحديث: عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺقال: « قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُد لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى مائة امرأة، أو تسع وتِسْعِينَ امْرَأَةً كُلُّهُنَّ تَأْتِي بِفَارِسٍ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يَقُلْ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَلَمْ يحْمِلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ جَاءَتْ بِشِقّ رَجُلٍ[5] ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فُرْسَانًا أَجْمَعُونَ»[6] .

---

(1) شرح صحيح مسلم، النووي (ج129/15).

(2) فتح الباري، العسقلاني (ج442/6).

(3) انظر: السنة ومكانتها في التشريع، السباعي (ج39/1).

(4) أبو هريرة، أبو رية (ص245).

(5) شق رجل: أي نصف إنسان.

(6) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من طلب الولد للجهاد(ج22/4)، حديث رقم: 2819، وأورد البخاري الحديث بلفظ ستون امرأة، وسيعون امرأة، وتسعون امرأة، وكذلك مسلم في صحيحه: بلفظ ستون امرأة، وفي لفظ ثاني سبعون امرأة، وفي لفظ آخر تسعون امرأة، كتاب الأيمان، باب الاستثناء(ج1275/3)، حديث رقم: 1654.

الرد على أبي رية:

هذا الحديث من الأحاديث المتفق على صحتها، فقد اتفق البخاري ومسلم على إخراجه في صحيحيهما، أما عن المفهوم من الحديث عند أهل السنة: قال المهلب: "في هذا الحديث حض على الولد بنية الجهاد في سبيل الله، وقد يكون الولد بخلاف ما أمله فيه، فيكون كافرًا، ولكن قد تم له الأجر في نيته وعمله، وفيه أن من قال: إن شاء الله، وتبرأ من المشيئة إلا لله، ولم يعط الخاصة لنفسه في أعماله، أنه حري بأن يبلغ أمله ويعطى أمنيته، ألا ترى أن سليمان لما لم يرد المشيئة إلى الله، ولم يستثن ما لله، فمن ذلك حرم أمله، ولو استثنى لبلغ أمله، كما قال ﷺ، وليس كل من قال قولا ولم يستثن فيه المشيئة فواجب ألا يبلغ أمله؛ بل منهم من يشاء الله إتمام أمله، ومنهم من يشاء ألا يتم أمله بما سبق في علمه، ولكن هذه التي أخبر عنها الرسول أنها مما لو استثنى المشيئة لتم أمله فدل هذا على أن الأقدار في علم الله على ضروب، فقد يقدر للإنسان الولد والرزق والمنزلة إن فعل كذا أو قال أو دعا، فإن لم يفعل ولا قال لم يعط ذلك الشيء، وأصل هذا في قصة يونس (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى: ﴿ **فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (143) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (144)**﴾ [1] ، فبان بهذه الآية أن تسبيحه كان سبب خروجه من بطن الحوت، ولو لم يسبح ما خرج منه[2] .

وَالْمرَاد بالاستثناء قَول: "إن شَاءَ الله، وَتَعْلِيق الْأَمر بِالْمَشِيئَةِ تَسْلِيم للقدر وَإِنَّمَا ترك سُلَيْمَان الاستثناء نِسْيَاناً فَلم يسامح بِتَرْكِهِ وَهُوَ نَبِي كريم، حَتَّى أثر التّرْك فقد الْغَرَض ونفع قَول إِن شَاءَ الله قوماً كَافِرين، فَإِنَّهُ فِي حَدِيث أبي هُرَيْرَة: إِن يَأْجُوج وَمَأْجُوج يحفرون السد كل يَوْم وَيَقُولُونَ: غَدا نتمه، فيجيئون وَقد عَاد كَمَا كَانَ، فَإِذا أذن فِي خُرُوجهمْ قَالَ قَائِلهمْ: إِن شَاءَ الله، فيجيئون وَهُوَ على حَاله"[3] .

وإن كان وجه الاستغراب والرد من أبي رية لهذا الحديث في أن سليمان طاف على تسع وتسعين امرأة فإن في الشرائع السابقة لم يكن التعدد محدد بعدد، وكذلك الأنبياء والرسل لهم خصوصيتهم؛ فسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تزوج بأكثر من أربع نساء، وإن كان وجه الغرابة في القوة التي أوتيها أو في الوقت فإنه لا يمتنع عقلاً أن يعطى النبي القوة في الجسد والبركة في الوقت.

(1) الصافات: 143-144.

(2) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن بطال (ج32/5).

(3) كشف المشكل من الصحيحين، ابن الجوزي (ج445/3).

المطلب الثالث: رده لأحاديث متعلقة بالمعجزات

1- رده لحادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم[1] وحادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم قد تكررت مرتين: المرة الأولى والنبي صلى الله عليه وسلم طفلاً يلعب مع الصبيان، والمرة الثانية ليلة عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء[2] ، ولقد نفى أبو رية أن يكون هذا أمراً معقولاً، وشبه ذلك بادعاء النصارى أن عيسى عليه السلام قتل وصلب من أجل خلاص العالم.

ونص الحديث: عن أنس بن مالك «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جبريل وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ثُمَّ اسْتَخْرَجَ عَلَقَةً مِنْهُ فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، قَالَ: وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ -يَعْنِي ظِئْرَهُ-، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ صلى الله عليه وسلم»[3] .

قال أبو حاتم: «شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم وهو صبي يلعب مع الصبيان، وأخرج منه العلقة، ولما أراد الله جل وعلا الإسراء به أمر جبريل بشق صدره ثانياً، وأخرج قلبه فغسله، ثم أعاده مكانه مرتين في موضعين، وهما غير متضادين»[4] .

الرد على أبي رية في ثبوت الحديث ومعناه:

هذا الحديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه وابن حبان في صحيحه وعلق عليه الشيخ

---

(1) أضواء على السنة المحمدية، أبو رية (ص160).

(2) قال الغنيمان: ثبت ذلك في غير رواية شريك في(الصحيحين)، من حديث أبي ذر، ووقع أيضاً له ذلك عند البعثة، كما أخرجه أبو داود الطيالسي في(مسنده)، وأبو نعيم في(الدلائل)، ووقع أيضاً في حديث أبي هريرة، وهو ابن عشر سنين، كما في(المسند). شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الغنيمان (ج448/2).

(3) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات (ج147/1)، حديث رقم: 261، وابن حبان في صحيحه: ذكر شق جبريل عليه السلام صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم في صباه (ج243/14) حديث رقم: 6334.

(4) صحيح ابن حبان، ابن حبان، ذكر شق صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم في صباه (ج243/14)، حديث رقم: 6334.

شعيب الأرنؤوط بأن إسناده صحيح على شرط مسلم[1] .

شرح الحديث: قال ابن الجوزي: "فَإِن قيل: قد خلق رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم مختوناً مَسْرُوراً، فَهَلا ولد مطهر الْقلب من حَظّ الشَّيْطَان، فَالْجَوَاب: أَن هَذِه الْأُمُور جعلت لامتحان الْعُقُول، كَمَا خلق القلفة وَأمر بقطعها، وحول من قبْلَة إِلَى قبْلَة، فَمن اعْترض على تصاريف من تصرف اللَّيْل وَالنَّهَار فَهُوَ سَفِيه، وَإِنَّمَا يَقع الاعتراض لأَنهم يحملون أمره على الْمشَاهد، وَإِن من بنى ثمَّ هدم ثمَّ عَاد فَبنى كَانَ مستدركا أمراً لم يكن عمله، فَمَتَى لم يكن مستدركاً كَانَ بالهدم عابثاً، والأمران لَا يجوزان على الله تَعَالَى، وَأما الْمُحَقِّقُونَ فَإِنَّهُم يسلمُونَ، ثمَّ قد بَان وَجه الْحِكْمَة فِي هَذَا: أَن وِلَادَته مختوناً مَسْرُوراً تبين لِلْخلقِ إنعام الْحق فِي حَقه، وَلَو خلق سليم الْقلب مِمَّا أخرج فِي بَاطِنه لم يعلم بذلك، فالإعلام بِإِخْرَاج شَيْء كَانَ بَقَاؤُهُ يُؤْذِي إنعام آخر، على أَنه خلق طَاهِرا، لكنه زيد تنظيف طَرِيق الْوَحْي وتأكيد أَمر الْعِصْمَة"[2] .

وأبو رية برفضه لحادثة شق صدر النبي صلى الله عليه وسلم يوافق ما جاء به المستشرقون تماماً، فإنهم ردوا هذه الحادثة، ورد عليهم في ذلك الشيخ المحدث محمد أبو شهبة قائلاً: "شكك محمود أبو رية في أحاديث (شق الصدر)، واستعمل فى ذلك أسلوباً ساخراً تهكمياً، وقارن بين عملية (شق الصدر للنبي صلى الله عليه وسلم) –وشتان ما بينهما –، وعملية (الصلب) للمسيح عليه السلام عند النصارى، بل نصب من نفسه مدافعاً عن عقيدة الصلب إلى آخر ما شاء له هواه أن يقول، وهو في هذا لا يخلو من أحد أمرين:

1- إما أن يكون منافقاً كشف لنا عن حقيقة إيمانه، ودخيلة نفسه، وخبث طويته

2- وإما أن يكون مداهناً متملقاً يتملق جمهور النصارى ولا سيما سادته المبشرون، والمستشرقون، وكلا الأمرين ضلال وشر، وأحاديث "شق الصدر" ثابتة بالأحاديث الصحيحة، ووقع ذلك مرة في صغره عليه السلام، وهو عند مرضعته السيده حليمة

---

(1) صحيح ابن حبان، ابن حبان، ذكر شق جبريل عليه السلام صدر المصطفى صلى الله عليه وسلم في صباه (ج243/14) حديث رقم: 6334، وذكر محقق صحيح ابن حبان أنه في "مسند أبي يعلى" (3374)، ومن طريقه أخرجه ابن عساكر في "السيرة النبوية" ص 370، وأخرجه مسلم في صحيحه (162) (261) في الإيمان: باب الإسراء، وأبو نعيم في "الدلائل" (168)، والبيهقي (ج146/1) في "دلائل النبوة"، وابن عساكر ص 370–371 من طرق عن شيبان بن فروخ، بهذا الإسناد، وأخرجه أحمد (ج123/1 و149 و 288)، وأبو يعلى (3507) ، وأبو عوانة في "مسنده"(ج125/1)، وأبو نعيم (168)، والبغوي (3708) ، وابن عساكر ص 370 و 371 من طرق عن حماد بن سلمة، به.

(2) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي (303/3).

السعدية، ومرة أخرى عند الإسراء والمعراج، وهى ثابتة في الصحيحين، بل قيل: بحصول الشق في غير هاتين المرتين، وتكرره إنما كان لتجديد استعداده ﷺ لا و أدرى ما وجه المقارنة بين الشق والصلب؟ فالشق أمر حق وممكن، وثابت بالأسانيد الصحيحة، والصلب قد نفاه "القرآن" نفياً باتاً، ولئن جاز استبعاد "شق الصدر"، لا يجوز أن يستبعد في عصورنا هذه التي تقدم فيها الطب تقدماً عجيباً حتى أصبحت العمليات تجرى في القلب وفى المخ، وغيرهما من الأعضاء التي هي بسبب وثيق من حياة الإنسان، وهذا مما يقرب إلى النفوس التي دأبت على جحود هذه المعجزة النبوية التي جرت بغير جراحة، وبعد كل هذا التهجم والطعن بغير حق أحالنا في الاستزادة من معرفة الإسرائيليات والمسيحيات إلى كتب التفسير، والحديث، والتاريخ، وإلى كتب المستشرقين أمثال "جولد زيهر، وفون كريمر" وغيرهما، وبهذا كشف لنا أبو رية عن حقيقة نفسه، وفي الحقيقة أنه ما أوقعه في كل هذا الزلل، وتلك العثرات المتلاحقة إلا متابعته لأساتذته من المستشرقين والمبشرين الذين اتخذهم له أئمة، وخفي عليه ما يضمره هؤلاء اليهود المعاصرون السبئيون من حقد وضغينة على الإسلام والمسلمين، ولم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى أغراضهم السيئة إلا النيل من السنة ومحاولة التشكيك فيها"[1] .

والخلاصة أن شق صدره غير مستبعد عقلاً، وإن لم تستوعبه بعض العقول، لا سيما ونحن في عصر تقدم الطب وإجراء العمليات الجراحية المشابهة، ولله المثل الأعلى.

2-رده لحديث المعراج، وعلل هذا الرد بأن الحديث لا يستقيم في العقل، فكيف يتردد محمد صلى الله عليه وسلم بين الله وموسى عليه السلام؟، وكيف يستدرك موسى على الله عدد الصلوات؟ وعد هذا الحديث من الإسرائيليات[2] :

نص الحديث: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « فُرِّجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جِئْنَا السَّمَاءَ قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ الدُّنْيَا: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ، قَالُوا: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ، قَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفُتِحَ فَلَمَّا عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا إِذَا رَجُلٌ عَنْ يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَنْ يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى قَالَ:

(1) دفاع عن السنة النبوية، أبو شهبة (ص100-101).

(2) أبو هريرة، أبو رية (ص245).

مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ قَالَ: قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ فَأَهْلُ الْيَمِينِ هُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ فَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى قَالَ: ثُمَّ عَرَجَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَقَالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ خَازِنُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَفَتَحَ " قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ فِي السَّمَاوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ، وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْفَ كَانَ مَنَازِلُهُمْ غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ أَنَّهُ قَدْ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِبْرَاهِيمَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قَالَ: فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِبْرِيلُ بِإِدْرِيسَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: " ثُمَّ مَرَّ فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: قَالَ قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَى قَالَ: ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ "قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْمٍ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الْأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولَانِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ بِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ» قَالَ ابْنُ حَزْمٍ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً» ، قَالَ: " فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ: فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ لِي مُوسَى: فَرَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ قَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ؛ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، قَالَ: فَرَاجَعْتُ رَبِّي، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ قَالَ: ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حبايل اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»[1] .

الرد على أبي رية في ثبوت الحديث ومعناه:

هذا الحديث من الأحاديث المتفق على صحتها، رواه البخاري ومسلم، فإذا أثبته أئمة الحديث المعتد بقولهم، فما أظن أن رأي أبي رية يقدم أو يؤخر.

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء؟(ج78/1)، حديث رقم: 349، ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات(ج148/1)، حديث رقم: 263.

شرح الحديث[1] : قوله: (ثم عرج به إلى السماء الدنيا) حذف قبل هذا جملة من الحديث مما هو ثابت في الروايات الأخرى؛ لأن القصة واحدة، وتقدير المحذوف: ثم أتي بالبراق، فركبه، فأسري به إلى المسجد الأقصى، فربط البراق وصلى ركعتين تحية المسجد، ثم عرج به، والعروج هو الصعود، والارتقاء، وعروجه صلى الله عليه وسلم هذا آية باهرة من آيات الله العظيمة، التي لا يدرك حقيقتها العقل البشري؛ لأن ارتفاع السماء عن الأرض ارتفاع هائل، لا يعلم قدره إلا الله تعالى، وقد تبين للناس اليوم أن الإنسان إذا ارتفع عن الأرض إلى حد قريب ينعدم الأكسجين الذي به الحياة، فيختنق ويموت في لحظات، وما فوق السماء الدنيا إلى تليها مسافة بعيدة جداً، لو قدرت بسير الإنسان، وما يستخدمه من آلات حديثة، لكانت بمئات السنين، وربما بآلاف السنين، وهكذا كل ما بين سماء وأخرى، ومع هذا كله يذهب الرسول صلى الله عليه وسلم ببدنه وروحه ويجاوز السماوات السبع بارتفاع لا يعلم قدره إلا الله تعالى في ما يقرب من اثنتي عشرة ساعة، ثم يعود، ولهذا قال جل وعلا: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[2] ، والتسبيح يكون عند الأمور العظيمة الدالة على قدرة الله، كما سبق.

فإن قيل: لماذا لم يذكر المعراج في القرآن مع أنه آية عظيمة دالة على عظيم قدرة الله تعالى؟

قيل: لأن الإسراء قد ذكر، وهو من جنسه، من حيث قطع المسافة الشاسعة في الوقت القصير، ولأنه يدل عليه.

ولأن إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم به وبما وقع فيه كاف عن ذكره في القرآن.

قوله: (فضرب باباً من أبوابها) يدل على أن السماء مبنية بناء محكماً ولها سمك وكثافة، وأنها لا تدخل إلا من أبوابها.

قوله: (فناداه أهل السماء من هذا؟) يدل على سماكة السماء وكثافتها، وأن من فيها لا يرى من يأتي من أسفلها، فدل على بطلان قول أهل الهيئة قديماً بأن السماء شفافة، لا تستر من فوقها، ولا من تحتها، وهذا من خرصهم الذي لا يستند إلى برهان.

(1) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الغنيمان (ج2/4449-450).

(2) الإسراء: 1

ودل أيضاً على بطلان قول ملاحدة هذا العصر، الذين ينكرون وجود السماء المبنية المحكمة، ويقولون: إنما هو فضاء تسبح فيه الكواكب، وهذا خلاف نصوص الشرع، وخلاف الواقع، وهم لا يؤمنون إلا بالمحسوس.

قوله: (فقال: جبريل) يدل على أن المسؤول عند الاستئذان يسمي نفسه العلم حتى يعرف، ولا يأتي بكلام مبهم مثل قوله: (أنا) ونحوه مما لا يعين المستأذن.

قالوا: ومن معك؟ قال: معي محمد، وهذا يدل على حراسة السماء، وأنه لا يدخلها أحد إلا من أمر الله بإدخاله.

وقولهم: (وقد بعث إليه) يعني: بعث نبياً، فهو يدل على أنهم لم يعلموا ذلك، والظاهر كما قال القسطلاني أن المعنى: أبعث إليه في المجيء إلى السماء؟ لأن البعثة لا تخفى عليهم، وعلى كل فهو يدل على أن معراجه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة، وهو أمر ظاهر[1] .

قال الشيخ أبو شهبة في رده على أبي رية في هذا الحديث الذي ردّه: "إنَّ الرمي بالقول على عواهنه من غير حُجَّة وبرهان لا يليق بالباحث المُنْصِف المُتَثَبِّت، وهل يقتضي ذكر موسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ ومراجعته لِلْنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ليلة المعراج كي يخفف الله سبحانه على أُمَّتِهِ الصلوات أَنْ يكون من الإسرائيليات؟ وعلى منطق المؤلف تكون كل الأحاديث التي ذكرت فضيلة لموسى أو لِنَبِيٍّ من أنبياء بني إسرائيل من الإسرائيليات وأعتقد أنَّ هذا لا يقوله عاقل فضلاً عن باحث، وبحسب القارئ ما ذكرته في المقال السابق من موقف علماء الإسلام من أخبار بني إسرائيل، ولو أنَّ حديث الإسراء والمعراج كان مرويًا عن كعب الأحبار أو غيره من علماء بني إسرائيل لجاز في العقل أنْ يكون ذكر موسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ من دَسِّهِمْ، أما والحديث مروي عن بضع وعشرين صحابياً ليس فيهم ولا فيمن أخذ عنهم أحد من مُسْلِمَةِ أهل الكتاب، فقد أصبح الاحتمال بعيداً كل البعد، إنْ لم يكن غير ممكن في منطق البحث الصحيح، وقد ذكر الحافظ أبو الخطاب بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) الصحابة الذين رُوِيَ عنهم حديث الإسراء والمعراج فوصل بهم إلى خمسة وعشرين صحابياً، واعتبر الروايات الواردة فيه متواترة، ونقل كلامه الحافظ الناقد ابن كثير في (تفسيره) ووصفه بالإفادة والجودة، فهل يجوز عند العقلاء أَنْ يكون لِلْدَسِّ مجال في هذا؟ وقد خرج حديث المعراج البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب الكتب المعتمدة من طرق متعددة، وقد استعرض هذه الروايات الإمام ابن كثير في (تفسيره) فليرجع إليه من يريد زيادة اليقين، وَلَمْ أَرَ – فيما أعلم – عن أحد من أهل

(1) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الغنيمان (ج2/449-450).

العلم الموثوق بهم أنه ذكر أنَّ مراجعة موسى لنبينا عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ دَسِيسَةٌ إسرائيلية، فهل خَفِيَ على علماء الأُمَّةِ جميعهم ما تَخَيَّلَهُ هذا المؤلف؟! وكان الأولى به أنْ يبحث عن السِرّ في المراجعة وحكمتها بدل التشكيك فيها، ومحاولة بيان استلزامها لنفي علم الله جَلَّ شَأْنُهُ، وعلم رسوله مبلغ احتمال الأُمَّةِ وقدرتها على أدائها قبل التخفيف، وأي ضير في أنْ يعلم موسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ بما سبق إليه من تجربة الناس، ومعالجة بني إسرائيل أشد المعالجة ما خفي على نبينا عَلَيْهِ الصَلاَةُ وَالسَّلاَمُ حتى أشار عليه بالرجوع إلى ربه وطلب التخفيف، حتى يرتب عليه المؤلف ما زعم، ثم من قال أنَّ فرض الصلوات خمسين وتخفيفها إلى خمس بسبب المراجعة تستلزم أنْ يكون الله سبحانه لا يعلم مبلغ قوة احتمال عباده على أدائها حتى رَتَّبَ عليه ما رَتَّبَ؟ إنَّ الله سبحانه يعلم كل ما كان وما يكون ويعلم أنَّ نَبِيَّهُ محمد صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ سيسأله التخفيف على العباد، وبسبب هذا السؤال سيخفف الصلوات من خمسين إلى خمس، ولذلك سِرٌّ وَحِكْمَةٌ، وهي إظهار رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذه الأُمَّة، وَمِنَّتِهِ عليها بالتخفيف، بدليل قول الرب تعالى: "أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي"[1] كما أَنَّ فيها إظهار منزلة النَبِيّ عند ربه بقبول شفاعته في التخفيف عن أُمَّتِهِ، وبيان رأفته ورحمته بأُمَّتِهِ باستماعه إلى مشورة أخيه موسى، ولا تسل عما في المراجعة من تكرار المناجاة بين العبد والمعبود والمُحِبّ والمحبوب"[2] .

المطلب الرابع: رده لأحاديث متعلقة بأشراط الساعة والجنة والنار

تشكيكه في أحاديث أشراط الساعة وأحاديث ظهور المهدي المنتظر، والدجال

نفى أبو رية صحة الأحاديث الواردة في الصحيحين عن الدجال فقال: "روى البخاري عن ابن عمر قال: كنا نتحدث بحجة الوداع ولا ندري ما حجة الوداع، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره وقال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إلا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ فِيكُمْ، فَمَا خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِهِ، فَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ عَلَى مَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ ثَلاثًا، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيَمِينِ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ، أَلا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكِمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلاثًا، وَيْلَكُمْ أَوْ وَيْحَكُمُ انْظُرُوا لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْض»[3] ، وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث: ذكر الخطبة في حجة الوداع

(1) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (ج109/4)، حديث رقم: 3207.
(2) الدفاع عن السنة، أبو شهبة (ج123/1).
(3) صحيح البخاري، البخاري: كتاب المغازي، باب حجة الوداع (176/5)، حديث رقم: 4402.

جماعة من الصحابة ولم يذكر أحد منهم قصة الدجال فيها إلا ابن عمر، **ولعل ابن حجر قد فاته أن ابن عمر هذا أحد تلاميذ كعب الأحبار"**[1] .

ولا أدري من أين جاءتك يا ابن أبي رية كل هذه الجرأة التي تتكلم فيها عن كبار الصحابة كابن عمر رضي الله عنه؟؟ أو أنها ليست جرأة وإنما وقاحة المستشرقين وتحامل الكارهين لهذا الدين وأعلامه من أصحاب رسول الله خير الناس، وخير القرون.

ثم أكمل أبو رية: "وهاك حديثاً غريباً آخر في الدجال، في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال فقال: «إلا أنه أعور وإن ربكم ليس بأعور»، وقال الفخر الرازي في (أساس التقديس) عند الكلام على هذا الحديث: إن هذا الخبر مشكل لأن ظاهره يقضي أن النبي أظهر الفرق بين الإله تعالى وبين الدجال بكون الدجال أعور، وكون الله تعالى ليس بأعور، وذلك بعيد، وخبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة في ضعف المعنى وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبوقاً بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الإشكال، وهناك أحاديث أخرى عن هذا الدجال أعرضنا عن ذكرها وكلها مرفوعة إلى النبي، ولكي يمكنوا لهذه العقيدة في عقول المسلمين أوردوا حديثاً عن النبي بأن "من كذب بالمهدي فقد كفر، ومن كذب بالدجال فقد كفر"[2] .

ولكي يختصر الخوض في أحاديث أشراط الساعة، قال:" انتهى العلامة السيد رشيد رضا في تفسيره، بعد أن طعن في أحاديث أشراط الساعة وأماراتها–مثل الفتن والدجال والجساسة وظهور المهدي وغير ذلك– إلى هذه النتائج القيمة[3] :

1- أن النبي لم يكن يعلم الغيب ﴿ قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَما مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[4] ، وهو معلوم من الدين بالضرورة وإنما أعلمه الله ببعض الغيوب بما أنزل عليه في كتابه، وهو قسمان صريح، ومستنبط.

2- لا شك أن أكثر الأحاديث قد روى بالمعنى كما هو معلوم واتفق عليه العلماء، ويدل على ذلك اختلاف رواة الصحاح في ألفاظ الحديث الواحد حتى المختصر منها، وما دخل على

(1) أضواء على السنة المحمدية، أبو رية (ص212).

(2) المرجع السابق.

(3) المرجع نفسه (ص214–217).

(4) الأعراف: 188

بعض الأحاديث من المدرجات وهو ما يدرج في اللفظ المرفوع من كلام الرواة، وربما فسر بعض ما فهمه بألفاظ يزيدها، وإن العابثين بالإسلام ومحاولي إفساد المسلمين، وإزالة ملكهم من زنادقة اليهود والفرس وغيرهم من أهل الابتداع، وأهل العصبيات العلوية والأموية والعباسية، قد وضعوا أحاديث كثيرة افتروها وزادوها في بعض الآثار المروية دسائس دسوها، وإن بعض الصحابة والتابعين كانوا يروون عن كل مسلم وما كان كل مسلم مؤمن صادق، ثم طعن في قاعدة أن الصحابة كلهم عدول ثقات، ثم انتقل للطعن في حديث خير القرون قرني[1] .

ومن أمثلة الأحاديث المتعلقة بالجنة والنار التي ردها أبو رية:

1- رده لحديث "الثور الذي يذبح لأهل الجنة"[2] ، وذكرها تحت عنوان أحاديث مشكلة:

نص الحديث: عن أبي سعيد الخدري، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَكْفَؤُهَا الْجَبَّارُ، كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، قَالَ: فَجَاءَ حَبْرٌ مِنَ الْيَهُودِ، فَقَالَ: بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «بَلَى» ، قَالَ: تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِإِدَامِهِمْ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: إِدَامُهُمْ بِلَامٍ وَنُونٍ "، قَالُوا: وَمَا هَذَا؟ قَالَ: «ثَوْرٌ وَحُوتٌ يَأْكُلُ مِنْ زِيَادَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا»[3] .

الرد على أبي رية في ثبوت ومعنى الحديث:

هذا الحديث من الأحاديث المتفق على صحتها فقد رواه البخاري ومسلم.

شرح الحديث:

(تكون الأرض) يعني أرض الدنيا، قوله: (خُبزة) بضم الخاء المعجمة وسكون الباء الموحدة وفتح الزاي قال الخطابي: الخبزة الطلمة بضم الطاء المهملة وسكون اللام، وهو عجين يجعل ويوضع في الحفيرة بعد إيقاد النار فيها.

---

(1) انظر: الأضواء، أبو رية (ص214-217).

(2) المرجع السابق (ص201).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب الدعوات، باب يقبض الله الأرض يوم القيامة (ج108/8)، حديث رقم: 6520، صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب نزل أهل الجنة(ج2151/4)، حديث رقم: 2792.

قوله: (يتكفؤها) بفتح التاء لمثناة من فوق وبفتح الكاف وتشديد الفاء المفتوحة بعدها همزة أي: يميلها ويقلبها من كفأت الإناء إذا قلبته، وفي رواية مسلم: يكفؤها، قوله: (كما يكفؤ أحدكم خبزته في السفر) أراد أنه كخبزة المسافر التي يجعلها في الرماد الحار يقلبها من يد إلى يد حتى تستوي لأنها ليست منبسطة كالرقاقة، ومعناه: أن الله عز وجل يجعل الأرض كالرغيف العظيم الذي هو عادة المسافرين فيه ليأكل المؤمن من تحت قدميه حتى يفرغ من الحساب، وقال الخطابي: يعني خبز الملة الذي يصنعه المسافر فإنها لا تدحى كما تدحى الرقاقة، وإنما تقلب على الأيدي حتى تستوي، وهذا على أن السفر بفتح المهملة والفاء، ورواه بعضهم بضم أوله جمع سفرة وهو الطعام الذي يتخذ للمسافر، ومنه سميت السفرة يعني التي يؤكل عليها، قوله: (نزلاً لأهل الجنة) بضم النون والزاي وبسكونها أيضاً، وهو ما يعد للضيف عند نزوله، ومعناه: أن الله تعالى جعل هذه الخبزة نزلا لمن يصير من أهل الجنة يأكلونها في الموقف قبل دخول الجنة حتى لا يعاقبون بالجوع في طول زمان الموقف، وقال الداودي: إن المراد أنه يأكل منها من سيصير إلى الجنة من أهل الحشر لا أنهم لا يأكلونها حتى يدخلوا الجنة، وقال بعضم: وظاهر الخبر يخالفه.

قال العيني شارح صحيح البخاري: كأن هذا القائل يقول: إن قوله: (نزلاً لأهل الجنة) أعم من كون ذلك يقع قبل دخول الجنة أو بعده، والداودي بنى كلامه على ظاهر ما روي عن سعيد بن جبير، قال: تكون الأرض خبزة بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه، رواه الطبري، ولا ينافي العموم ما قاله الداودي، وعن البيضاوي أن هذا الحديث مشكل جداً لا من جهة إنكار صنع الله وقدرته على ما يشاء، بل لعدم التوقف على قلب جرم الأرض من الطبع الذي عليه إلى طبع المطعوم والمأكول مع ما ثبت في الآثار أن هذه الأرض تصير يوم القيامة نارا وتنضم إلى جهنم، فلعل الوجه فيه أن معنى قوله: (خبزة واحدة) أي: كخبزة واحدة من نعتها كذا وكذا.

قال العيني: تكلم الطيبي هنا بما آل حاصله وحاصل كلام البيضاوي: أن أرض الدنيا تصير ناراً، محمول على حقيقته، وأن كونها تصير خبزة يأكل منها أهل الموقف محمول على المجاز، والأثر الذي ذكرناه الآن عن سعيد بن جبير وغيره يرد عليهما، والأولى أن يحمل على الحقيقة مهما أمكن، وقدرة الله صالحة لذلك، والجواب عن الحديث الذي استدل به البيضاوي من كون الأرض تصير نارا: أن المراد به أرض البحر لا كل الأرض، فقد أخرج الطبري من طريق كعب الأحبار قال: يصير مكان البحر ناراً، وفي تفسير الربيع بن أنس: عن أبي العالية عن أبي بن كعب، رضي الله تعالى عنه: تصير السموات جفاناً ويصير مكان البحر ناراً، فإن قلت:

أخرج البيهقي في البعث في قوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[1] ، قال: يصيران غبرة في وجوه الكفار، و قد قال بعض العلماء: يمكن الجمع بأن بعضها يصير ناراً وبعضها غباراً، وبعضها يصير خبزة، وفيه تأمل، لأن لفظ حديث الباب: تكون الأرض يوم القيامة خبزة يطلق على الأرض كلها، وفيما قاله ارتكاب المجاز فلا يصار إليه إلا عند تعذر الحقيقة، ولا تعذر هنا من كون كل الأرض خبزة، لأن القدرة صالحة لذلك ولأعظم منها، بل الجواب الشافي هنا أن يقال: إن المراد من كون الأرض ناراً هو أرض البحر كما مر، والمراد من كونها غبرة: الجبال، فإنها بعد أن تدك تصير غباراً في وجوه الكفار، قوله: (ثم ضحك) يعني: تعجباً من اليهودي كيف أخبر عن كتابهم نظير ما أخبر به من جهة الوحي.

قوله: (حتى بدت نواجذه) أي: حتى ظهرت نواجذه وهو جمع ناجذة بالنون والمعجمتين وهي أخريات الأسنان إذا الأضراس أولها الثنايا ثم الرباعيات ثم الضواحك ثم الأرحاء ثم النواجذ، وجاء في كتاب الصوم حتى بدت أنيابه، ولا منافاة بينهما لأن النواجذ تطلق على الأنياب والأضراس أيضاً، قيل: مضى في كتاب الأدب في: باب التبسم، أنه ما كان يزيد على التبسم. وأجيب: بأن ذلك بيان عادته وحكم الغالب فيه، وهذا نادر ولا اعتبار له، قوله: (ألا أخبرك) وفي رواية مسلم: (ألا أخبركم)، قوله: (ثم قال) وفي رواية الكشميهني: فقال، قوله: (بالام) بفتح الباء الموحدة وتخفيف اللام والميم، وقال الكرماني: وهي موقوفة ومرفوعة منونة وغير منونة، وفيه أقوال والصحيح أنها كلمة عبرانية معناها بالعربية: الثور، وبهذا فسره ولهذا سألوا اليهودي عن تفسيرها، ولو كانت عربية لعرفتها الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وقال الخطابي لعل اليهودي أراد التعمية عليهم وقطع الهجاء وقدم أحد الحرفيين على الآخر وهي لام الف وياء يريد لأي على وزن وهو الثور الوحشي فصحف الراوي المثناة فجعلها موحدة وقال ابن الأثير وأما البالام فقد تمحلوا لها شرحاً غير مرضى لعل اللفظة عبرانية، ثم نقل كلام الخطابي الذي ذكره ثم قال: وهذا أقرب ما وقع لي فيه، قوله: (ونون) وهو الحوت المذكور في أول السورة، قوله: (وقالوا)، أي الصحابة، وفي رواية مسلم: فقالوا، قوله: (ما هذا؟) وفي رواية الكشميهني: وما هذا؟ بزيادة واو، قوله: (من زائدة كبدهما) الزائدة هي القطعة المنفردة المتعلقة بالكبد، وهي أطيبها وألذها، ولهذا خص بأكلها سبعون ألفا، ويحتمل أن هؤلاء هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب، ويحتمل أن يكون عبر بالسبعين عن العدد الكثير ولم يرد الحصر فيها، وقال الداودي: أول أكل أهل الجنة زائدة الكبد يلعب الثور والحوت بين أيديهم فيذكي الثور الحوت بذنبه فيأكلون منه، ثم يعيده الله تعالى فيلعبان فيذكي الحوت الثور بذنبه فيأكلون منه،

---

(1) الحاقة: 41

كذلك ما شاء الله، وقال كعب: فيما ذكره ابن المبارك: أن الله يقول لأهل الجنة إذا دخلوها: إن لكل ضيف جزوراً، وإني أجزركم اليوم حوتاً وثوراً، فيجزر لأهل الجنة، وروى مسلم من حديث ثوبان: تحفة أهل الجنة زيادة كبد النون، أي: الحوت، وفيه غذاؤهم على أثرها أنه ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها، وفيه: وشرابهم عليه من عين تسمى سلسبيلاً[1] .

إذاً هذا الحديث من الأحاديث الثابتة، التي شرحها العلماء وبينوا المراد منها، بعلم وفهم، فبأي وجه رد أبو رية الحديث، إن لم يكن له مستند علمي صحيح، إلا الهوى الذي فيه بغض وحب لغير الله، أو العقل القاصر الذي يقبل ويرد وفق تصوراته القاصرة.

2- رده لحديث (الشجرة التي في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام)، وقد رد هذا الحديث -على زعمه- أنه من الاسرائيليات[2] :

نص الحديث: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعَهَا»[3] .

الرد على أبي رية في ثبوت الحديث وشرحه:

هذا الحديث ثابت عند أهل الحديث، ورواه كلا من البخاري ومسلم في صحيحيهما.

معنى الحديث: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة لشجرة" أي إن فيها شجرة كبيرة مترامية الأطراف، يسير الراكب المسرع في سيره، في ظلها مائة عام لا يقطعها» أي يسير تحتها الراكب المجد مائة سنة فلا ينتهي منها، وفي الحديث عن عتبة السلمي مرفوعاً: «شجرة طوبى تشبه الْجَوْزَةَ، لَوِ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ مَا أَحَاطَتْ بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا»[4] ، وهذا الحديث يدل على عظمة الجنة، وضخامة أشجارها، حتى إن بعض أشجارها تمتد أغصانها وفروعها إلى مسافات بعيدة تزيد عن مسيرة مائة عام، وأن أهل الجنة يتفيؤون أشجارها تنعماً وتلذذاً، لا من أجل أن يستظلوا بها من حرارة الشمس، فإن الجنة لا حر

---

(1) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العيني (ج103/23).

(2) أبو هريرة، أبو رية (ص102).

(3) صحيح البخاري، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (ج119/4)، حديث رقم: 3251، صحيح مسلم، مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها(ج2175/4)، حديث رقم: 2826.

(4) المعجم الكبير، الطبراني (ج168/17) حديث رقم: 312، مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ج191/29) حديث رقم: 17642.

فيها ولا برد، وذلك هو مصداق قوله تعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ(27) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ(28) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ(29) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ(30) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ(31) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ(32) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ(33) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ**﴾[1] فالجنة كلها ظل لا شمس معه، ونور لا حرَّ فيه، كأنما هم يعيشون دائماً في وقت الإسفار الذي يسبق طلوع الشمس[2] .

ولو جارينا أبا رية في زعمه المغلوط أن هذا الحديث من الإسرائيليات، فهل كل الإسرائيليات عندنا مرفوض؟.

أما عند أهل السنة والجماعة فنقلت قبل ذلك أنهم لا يرفضون كل الإسرائيليات إلا ما كان مخالفاً لشرعنا، وللنصوص الصحيحة في الكتاب والسنة، وعند أبي رية ما أظن أن الإسرائيليات مرفوضة أصلاً، فأبو رية صاحب دعوات التقارب وضرورة التقارب والانصهار مع أهل الكتاب الذين هم أهل كتاب ليسوا بكفار، فلماذا تكون رواياتهم مرفوضة إن لم يكونوا كفاراً؟، وكيف سيتم التقارب إن رفضنا رواياتهم؟، أم أن أبا هريرة غير مؤتمن فيما ينقله عنهم، وأنت مؤتمن في توصيفك له ولهم؟، **ما أعظم ما جئت به من الافتراء!**

المطلب الخامس: رده لأحاديث متعلقة في تفضيل الشام

أنكر أبو رية الأحاديث الواردة في فضائل بلاد الشام وعدها من صنيعة المتزلفين للدولة الأموية، وفيها عدد كبير من وضع كعب الأحبار ووهب بن منبه فردها[3] .

ومن هذه الأحاديث التي ردها:

رده لحديث عليك بالشام، فإنه خيرة الله من أرضه، يجتبي إليه خيرته من عباده:

نص الحديث: عن ابن حوالة، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: « سَيَصِيرُ الأَمْرُ إِلَى أَنْ تَكُونُوا أَجْنَادًا مُجَنَّدَةً: جُنْدٌ بِالشَّامِ، وَجُنْدٌ بِالْيَمَنِ، وَجُنْدٌ بِالْعِرَاقِ، قَالَ ابْنُ حَوَالَةَ خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ، قَالَ: عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّهَا خِيرَةُ اللَّهِ مِنْ أَرْضِهِ يَجْتَبِي إِلَيْهَا خِيرَتَهُ مِنْ عِبَادِهِ، فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَعَلَيْكُمْ بِيَمَنِكُمْ وَاسْقُوا مِنْ غُدُرِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ»[4] .

---

(1) الواقعة: 27-34

(2) منار القاري بشرح صحيح البخاري، حمزة القاسم (ج164/4).

(3) الأضواء، أبو رية (ص100-143).

(4) مسند الأمام أحمد، أحمد بن حنبل (ج215/28) حديث رقم: 17005

الرد على أبي رية في ثبوت الحديث ومعناه:

حديث صحيح بطرقه، هذا تعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط[1] .

شرح الحديث: (وعن ابن حوالة) : بفتح الحاء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سيصير الأمر) أي: أمر الإسلام أو أمر القتال (أن تكونوا جنودا) ، أي: عساكر (مجندة) بتشديد النون المفتوحة أي: مجموعة في كلمة الإسلام، أو مختلفة في مراعاة الأحكام، (جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق) أي: عراق العرب وهو البصرة والكوفة، أو عراق العجم وهو ما وراءها دون خراسان وما وراء النهر، (فقال ابن حوالة: خر لي) بكسر الخاء وسكون الراء أمر من الخيرة بمعنى الاختيار، أي: اختر لي جندا ألزمه (يا رسول الله إن أدركت ذلك) أي: ذلك الوقت (فقال: عليك بالشام، فإنها) أي: الشام (خيرة): بكسر الخاء وفتح التحتية، وقد يسكن أي: مختارة (الله من أرضه) أي: من بلاده ففيها خير عباده، والمعنى اختارها الله من جميع الأرض للإقامة في آخر الزمان، (يجتبي إليها خيرته): بالنصب على ما في أكثر النسخ المعتمدة، وفي نسخة بالرفع ثم من تبعيضية في قوله: (من عباده)، فالمعنى يجمع الله إلى

---

(1) انظر: مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل، حديث عبد الله بن حوالة(ج216/28)، حديث رقم: 17005، تعليق الشيخ شعيب الأرناؤوط على الحديث، وهذا الحديث أيضاً أخرجه أبو داود (2483) ، و"مسند الشاميين"، الطبراني (1172) من طريق حيوة بن شريح، بهذا الإسناد، والتاريخ الكبير"، البخاري (ج33/5). و"المعرفة والتاريخ"، يعقوب بن سفيان (ج288/2)، "مسند الشاميين"، الطبراني (1975) من طريق عبد الله بن صالح كاتب الليث، عن معاوية بن صالح الحضرمي، عن أبي يحيى سليم بن عامر الخبائري، عن جبير بن نفير، عن عبد الله بن حوالة، به، وعبد الله بن صالح ضعيف يعتبر به، وأخرجه بنحوه يعقوب بن سفيان (ج288/2-289)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (2295) ، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (1114)، والطبراني في "مسند الشاميين" (2540)، وأبو نعيم في "الحلية" 3/2-4، وفي "الدلائل" (478)، والبيهقي في "الدلائل" (ج327/6)، وأبو عمرو الداني في "الفتن" (500) من طرق عن يحيى بن حمزة الحضرمي، عن نصر بن علقمة الحضرمي، يرده إلى جبير بن نفير، عن عبد الله بن حوالة، به. وهذا الإسناد=وإن كان ظاهره الانقطاع بين نصر بن علقمة وبين جبير بن نفير، إلا أن نصرا صرح بسماعه من الواسطة بينهما، وهو عبد الرحمن بن جبير بن نفير في آخر الحديث،= =فاتصل الإسناد، ورجاله ثقات رجال الصحيح غير نصر بن علقمة، وهو ثقة فقد روى عنه جمع، ووثقه دحيم، وذكره ابن حبان في "الثقات "، ولا يعلم فيه جرح، وقد توبع، وأخرجه بنحوه الدولابي في "الكنى" (ج72/2)، والطبراني في "مسند الشاميين" (601) ، وابن عساكر في "تاريخه" (ج54/1) من طريق صالح بن رستم، عن عبد الله بن حوالة. وصالح بن رستم- وهو الهاشمي أبو عبد السلام الدمشقي- مجهول الحال، ومن هذه الطريق أورده الهيثمي في "المجمع" (ج58/10)، ونسبه إلى الطبراني، وقال: رجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم، وهو ثقة! مسند الإمام أحمد(ج217/28).

أرض الشام المختارين من عباده، ويجوز أن يكون يجتبي لازماً أي: يجتمع إليها المختارون من عباده، وقال السيد جمال الدين: خيرته مرفوع بأنه فاعل يجتبي إن كان من الاجتباء اللازم، وهو بمعنى الاجتماع، أو منصوب بأنه مفعول إن كان من الاجتباء المتعدي، وهو بمعنى الاصطفاء والاختيار، والمختار أنه من الثاني موافقة لما ورد في التنزيل: ﴿**الله يجتبي إليه من يشاء**﴾[1] ، (فأما إن أبيتم) أي: امتنعتم من القصد إلى الشام (فعليكم بيمنكم، واسقوا): بهمز الوصل ويجوز قطعه أي: أنفسكم ودوابكم (من غدركم) بضم معجمة وفتح مهملة أي: حياضكم (فإن الله توكل) أي: تكفل (لي)، أي: لأجلي وإكراماً لي في أمتي، وقيل صوابه تكفل لي أي ضمن القيام (بالشام)، أي: بأمر الشام وحفظ أهله، قال التوربشتي: قوله: فأما إن أبيتم هذا كلام معترض أدخله بين قوله: عليكم بالشام، وبين قوله: واسقوا من غدركم، أي: الزموا الشام واسقوا من غدركم، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهلها رخص لهم في النزول بأرض اليمن، ثم عاد إلى ما بدئ منه، وإنما أضاف اليمن إليهم لأنه خاطب به العرب، واليمن من أرض العرب، ومعنى قوله: واسقوا من غدركم ليسق كل واحد من غدره الذي يختص به، والأجناد المجندة بالشام، لا سيما أهل الثغور والنازلون في المروج من شأنهم أن يتخذ كل فرقة لنفسها غديراً تستنقع فيها الماء للشرب والتطهر وسقي الدواب، فوصاهم بالسقي مما يختص بهم وترك المزاحمة فيما سواه، والتغلب لئلا يكون سبباً للاختلاف وتهييج الفتنة[2] .

ولو رد أبو رية هذا الحديث من ناحية الصناعة الحديثية لكان لكلامه وجه يستند عليه عند أهل العلم؛ لكن رده لهذا الحديث لأن أبا هريرة قد رواه، وأن هذا الحديث –على حد زعمه– من الاسرائيليات.

ففي فهم أبي رية القاصر أن روايات أبي هريرة في تفضيل الشام كلها اسرائيليات، لأنه أخذها عن كعب الأحبار، وهذه الوجهة تفرد بها لا عن علم بل عن تحامل وكره لأبي هريرة.

---

(1) الشورى: 13

(2) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي قاري (ج9/ 4042).

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1- الاعتماد على العقل في فهم نصوص القرآن يقود للانحراف والكفر، وهذا لا يعني أن لا نستعمل العقل في فهم الخطاب، والوصول بالأدلة والبراهين لتصديق الحقائق التي جاء بها الشرع، لقوله تعالى: **﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)﴾** [1] .

2- المدرسة العقلية المزعومة وجه من وجوه الاستعمار لبلاد المسلمين.

3- أبو رية رجل تأثر بالمستشرقين تأثراً كبيراً، وكانت علاقته بالشيعة علاقة وطيدة، وهاجم العلماء من أهل زمانه، وانحرف عن المسار المستقيم في مسائل كثيرة في العقيدة الإسلامية منها وحدة الأديان، وعدم كفر أهل الكتاب، والتهجم على الصحابة كابن عمر وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم؛ هذا ما يجعلني أحذر منه ومن كتاباته ومن متابعة منهجه المنحرف.

4- هذا البحث لم يلق الضوء على منهج أبي رية وآرائه العقدية فقط، بل هو كشف لزيغ ورد على أتباع المنهج العقلي الذي يردّ السنة ومازال لهذا الطريق المنحرف أتباع حتى الآن.

5- ما زال في أيامنا هذه من يستعمل العقل بالطريقة التي استعملها أبو رية، مما ينبهنا لضرورة تكثيف الجهود في تفهيم الجيل الناشئ من خطورة هذا المنهج المنحرف.

ثانياً: التوصيات:

1- أوصي القراء بعدم الانخداع بأصحاب المدرسة العقلية المنحرفة، التي ترد الأحاديث لعدم موافقتها للعقل، أو التي تخلط في مسائل العقائد فتأخذ من كل فرقة منحرفة رأي، ومع كل منهج معوج طريق.

2- أوصي طلبة العلم بأن يتمسكوا بالنهج الصحيح الذي يتبع الكتاب والسنة، ويلتزم الفهم الصحيح ويتخذ الطريق الوسط، ويحافظ على ميراث السلف، ويؤكد على أصالة منهج أهل السنة والجماعة.

---

(1) الجاثية: 13

3- أوصي الباحثين بتكثيف الجهود لكشف زيف أقوال المنحرفين من أتباع المدرسة العقلية الحديثة التي تعتدي على نصوص الكتاب والسنة.

4- أوصي الباحثين بدراسة الأحاديث التي يشكك فيها أعداء الإسلام، وشرحها وإزالة اللبس الذي قد يعلق بالأذهان.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن علي بن إسماعيل أبي موسى الأشعري، تحقيق: د. فوقية حسين محمود، القاهرة، دار الأنصار، ط1، 1397هـ.

الاتجاه العقلاني لدى المفكرين المعاصرين، د. سعيد الزهراني، (رسالة دكتوراه غير منشوة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، السعودية، إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط1، 1407هـ.

الاتجاهات العقلانية الحديثة، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، الرياض، دار الفضيلة، ط1، 2001م.

الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1984م.

اتجاهات فكرية معاصرة، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن الثعلبي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، دمشق، المكب الإسلامي، (د.ط)، (د.ت).

أَركانُ الإيمانِ، علي بن نايف الشحود، (د.م)، (د.ن)، ط4، 1431هـ.

أساس التقديس، فخر الدين الرازي، تحقيق أحمد السقا، مصر، مكتبة الكليات الأزهرية، (د.ط)، 2001م.

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، (د.م)، (د.ن)، ط1، (د.ت).

الاستشراق وموقفه من السنة النبوية الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، فالح الصغير، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، (د.ط)، (د.ت).

الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، القاهرة، مكتبة السنة، ط4، (د.ت).

الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد حسين، السعودية، دار الفرقان، (د.ط)، (د.ت).

الإسلام والليبرالية نقيضان لا يجتمعان، جمع وترتيب: شحاتة صقر، مصر، دار الخلفاء الراشدين، (د.ط)، (د.ت).

الأسماء والصفات، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، جدة، مكتبة السوادي، ط1، 1413هـ.

الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ.

أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، سعود بن عبد العزيز الخلف، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، 1420هـ.

أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، مصر، دار المعارف، ط6، (د.ت).

الأعلام، خير الدين الزركلي، مصر، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1424هـ.

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ابن تيمية الحراني، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، بيروت، دار عالم الكتب، ط7، 1419هـ.

الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه، عبد العزيز المحمدي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.

الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الرياض، أضواء السلف، ط1، 1419هـ.

الأنجم الزاهرات على حل ألفاظ الورقات في أصول الفقه، شمس الدين محمد بن عثمان بن علي المارديني، تحقيق: عبد الكريم بن علي محمد بن النملة، الرياض، مكتبة الرشد، ط3، 1999م.

الإيمان، ابن تيمية الحراني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، عمان، المكتب الإسلامي، ط5، 1416هـ.

البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، مصر، دار الكتبي، ط1، 1414هـ.

البدء والتاريخ، مطهر بن طاهر المقدسي، بورسعيد مكتبة الثقافة الدينية، (د.ط)، (د.ت).

براءة الرافعي من أبي رية، موقع الألوكة، تاريخ الاطلاع: 2023/4/3، الموقع: https://cutt.us/roDXL، 2012م.

البُرهان في تبرئة أبي هريرة من البُهتان، عبد الله بن عبد العزيز بن علي الناصر، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مصر، دار الهداية، (د.ط)، (د.ت).

التجديد في الفكر الإسلامي، د. عدنان أمامة، أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراة، دار الجوزي.

ترجمة محمود *أبو رية*، ملتقى أهل الحديث، تاريخ الاطلاع: 2022/1/2، الموقع: https://al-maktaba.org/book/31616/76493

التعريفات، الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.

تيسير مصطلح الحديث، أبو حفص محمود بن أحمد بن محمود طحان النعيمي، مصر، مكتبة المعارف، ط10، 1425هـ.

ثورة 23يوليو 1952، د. مجدي حماد، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1993م.

جامع *البيان عن تأويل آي القرآن*، أبو جعفر الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، السعودية، دار هجر، (د.ط)، (د.ت).

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، بيروت، طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

جامع *بيان العلم وفضله*، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، السعودية، دار ابن الجوزي، ط1، 1414هـ.

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ.

جذور *الانحراف في الفكر الإسلامي الحديث*، جمال سلطان، (د.م)، مكتبة الدراسات الإسلامية، ط1، 1991م.

حريق *القاهرة*، محمد أنيس، (د.م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د.ط)، (د.ت).

حوار *هادئ مع محمد الغزالي*، سلمان بن فهد العودة، السعودية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط1، 1409هـ.

حياة *الرافعي*، محمد سعيد العريان، (د.م)، (د.ن)، ط3، 1955م.

خاطرات جمال الدين الأفغاني، محمد باشا المخزومي، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط1، 2002م.

دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله علية وسلم، سعود بن عبد العزيز الخلف، الكويت، غراس للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.ت).

درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية الحراني، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط2، 1411هـ.

الدستور الحالة المصرية أسئلة وإجابات في ضوء الدساتير المقارنة، د. عماد الفقي، (د.م)، المنظمة العربية لحقوق الإنسان، (د.ط)، 2012م.

دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، مصر، مكتبة السنة، ط1، 1989م.

دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، مصر، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط1، 1996م.

دين الله واحد على ألسنة جميع الرسل محمد وعيسى أخوان، محمود أبو رية، القاهرة، دار الكرنك، (د.ط)، (د.ت).

الدين والثورة في مصر1952-1981(اليسار الإسلامي والوحدة الوطنية)، د. حسن حنفي، مصر، مكتبة مدبولي، (د.ط)، (د.ت).

الذكرى 110 على ميلاد شيخ الأزهر عبد الحليم محمود، فاطمة عيد: مقال في جريدة الوفد، تاريخ الاطلاع: 11-5-2020 ، الرابط: https://cutt.us/fjAME

ذكريات 1935-2018م، حسن حنفي، مصر، مؤسسة هنداوي، (د.ط)، 2017م.

رسوم التحديث في علوم الحديث، برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبريّ، تحقيق: إبراهيم بن شريف الميلي، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1421هـ.

روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، ابن قدامة المقدسي، تركيا، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1423هـ.

سبحة العقيق في مناقب سيدي محمد بن الصديق، أحمد الغماري، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

السنة في مواجهة الأباطيل، محمد طاهر بن حكيم غلام رسول، (د.م)، دعوة الحق، (د.ط)، 1402هـ.

السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى بن حسني السباعي، دمشق، المكتب الإسلامي، ط3، 1402هـ.

السنة، أبو بكر أحمد بن عمرو بن الضحاك، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط1، 1400هـ.

سنن ابن ماجه، ابن ماجة القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، (د.ط)، (د.ت).
سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية، (د.ط)، (د.ت).
سنن الترمذي، أبو عيس محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، 1395هـ.
شرح أصول السنة، أبو القاسم هبة الله الطبري الرازي اللالكائي، السعودية، دار طيبة، ط8، (د.ت).
شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، 2010م.
شرح السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2، 1403هـ.
شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد الله بن المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط10، 1417هـ.
شرح الكوكب المنير، لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، السعودية، مكتبة العبيكان، ط2، 1418هـ.
شرح صحيح البخاري، ابن بطال علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ.
شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله بن محمد الغنيمان، المدينة المنورة، مكتبة الدار، ط1، 1405هـ.
شيخ المضيرة أبو هريرة، محمود أبو رية، بيروت، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط3، (د.ت).
صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي أبو حاتم الدارمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ.
صحيح البخاري نهاية أسطورة، رشيد أيلال، مصر، دار الوطن، ط1، 2017م.
ظاهرة اليسار الإسلامي، محسن الميلي، الرياض، دار النشر الدولي، ط1، (د.ت).

العصرانية ودعوتهم للتجديد، د. سيف الدين خشان، *مجلة جامعة الأقصى، 21* (1)، 2017م.
العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد حامد الناصر، (د.م)، (د.ن)، ط2، 2001م.
عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي»، تحقيق: محب الدين الخطيب، القاهرة، المطبعة السلفية، (د.ط)، (د.ت).
العقل والنقل عند ابن رشد، محمد أمان بن علي جامي علي، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).
علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة المبادئ والمقدمات، محمد يسري، (د.م)، (د.ن)، ط1، 2004م.
علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، د. حمزة المليباري، (د.م)، ملتقى أهل الحديث، (د.ط)، (د.ت).
عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العينى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، (د.ت).
العين والأثر في عقائد أهل الأثر، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر البعلي تقيّ الدين ابن فَقِيه فُصَّة، تحقيق: عصام رواس قلعجي، سوريا، دار المأمون للتراث، ط1، 1407هـ.
فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، بيروت، دار المعرفة، (د.ط)، 1379هـ.
فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دمشق، دار ابن كثير، ط1، 1414هـ.
الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الإسفراييني، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ط2، 1977م.
الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، القاهرة، مكتبة الخانجي، (د.ط)، (د.ت).
الفقه الأكبر، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي بن ماه، الإمارات، مكتبة الفرقان، ط1، 1419هـ.
فكر التنوير بين العلمانيين والإسلاميين، د. محمد عمارة، (د.م)، جمعية المركز العالمي للتوثيق والدراسات والتربية الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).

القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط8، 1426هـ.

قواطع الأدلة في الأصول، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن اسماعيل، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ.

القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عبد الخالق، الكويت، دار القلم، ط1، 1396هـ.

كتاب *أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة*، نخبة من العلماء، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط1، 1421هـ.

الكتاب الأسود للاستعمار البريطاني في مصر، شحاتة عيسى ابراهيم، (د.م)، سلسلة ذاكرة الكتابة تصدرها الهيئة العامة لقصور الثقافة، (د.ط)، (د.ت).

كتاب الإيمان "ومعالمه، وسننه، واستكماله، ودرجاته، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي، تحقيق: محمد نصر الدين الألباني، مصر، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط1، 1421هـ.

كتاب *العين*، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، مصر، دار ومكتبة الهلال، (د.ط)، (د.ت).

كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: علي حسين البواب، الوطن، دار الوطن، (د.ط)، (د.ت).

الكفاية في علم الرواية، الخطيب البغدادي، تحقيق: أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني، المدينة المنورة، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د.ت).

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الرياض، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، (د.ط)، (د.ت).

لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط3، 1414هـ.

لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، دمشق، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، ط2، 1402هـ.

ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه، الحارث بن أسد المحاسبي، تحقيق: حسين القوتلي، بيروت، دار الفكر، ط2، 1398هـ.

مجلة البيان الصادرة عن المنتدى الإسلامي وهي(238 عدد).
مجلة المنار، لمحمد رشيد رضا، أنشأت سنة 1315 هـ .
محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ.
المحصول في أصول الفقه، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري، تحقيق: حسين علي البدري وسعيد فودة، عمان، دار البيارق، ط1، 1420هـ.
مختار الصحاح، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط5، 1420هـ.
المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1401هـ.
المدرسة العصرانية في نزعتها المادية، محمد الناصر، السعودية، مكتبة الكوثر، ط1، 2004م.
المذاهب الفكرية المعاصرة، د. غالب عواجي، السعودية، المكتبة العصرية الذهبية، ط1، 2006م.
مذاهب فكرية معاصرة، محمد بن قطب بن إبراهيم، دمشق، دار الشروق، ط1، 1403هـ.
مذكرة في أصول الفقه، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط5، 2001م.
مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ط)، (د.ت).
مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1422هـ.
المستصفى، أبو حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ.
مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ.
مسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1405هـ.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، (د.ت).

مصادر التلقي عند الأشاعرة، زياد الحمام، السعودية، دار الفضيلة، ط1، 2015م.

المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، بيروت، المكتبة العلمية، (د.ط)، (د.ت).

المطالب العالية من العلم الإلهي، فخر الدين الرازي، لبنان، (د.ن)، ط1، 1987م.

مع *رجال الفكر في القاهرة*، مرتضى الرضوي، العراق، مركز الابحاث العقائدية، (د.ط)، (د.ت).

المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، (د.ط)، (د.ت).

المعجم الفلسفي، د. جميل صليبا، لبنان، دار الكتاب اللبناني، (د.ط)، 1982م.

المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (د.ط)، 1983م.

المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط2، (د.ت). –

معجم *المؤلفين*، عمر بن رضا كحالة، بيروت، مكتبة المثنى، (د.ط)، (د.ت).

مفهوم *تجديد الدين*، بسطامي محمد سعيد، السعودية، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط2، 2021م.

من هم *الإسلاميون التقدميون؟*، مبارك الجري، تاريخ الاطلاع: 2022/11/22، الموقع: https://www.aljarida.com/articles/1484922301203347600، 2017م.

منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، حمزة محمد قاسم، راجعه: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق، مكتبة دار البيان، (د.ط)، 1410هـ.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ.

منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، تامر محمد محمود متولي، السعودية، دار ماجد عسيري، ط1، 1425هـ.

منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، فهد بن عبد الرحمن الرومي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1983هـ.

المواقف في علم الكلام، عضد الدين الإيجي، بيروت، عالم الكتب، (د.ط)، (د.ت).

المورد قاموس إنجليزي عربي، منير البعلبكي، (د.م)، (د.ن)، (د.ط)، (د.ت).

موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام، عدد من الباحثين، موقع الدرر السنية، (د.ط)، 1433هـ.

الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، مصر، وزارة الأوقاف، (د.ط)، 1423هـ.

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، القاهرة، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1420هـ.

موقع الجزيرة البث الحي 21-4-2015م.

موقع مدونات الجزيرة وهو موقع أطلقته الجزيرة في 2016/8/8م.

موقع معرفة على الانترنت: https://www.marefa.org

موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الرياض، مكتبة الرشد، ط1، 1415هـ.

نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الرياض، مطبعة سفير، ط1، 1422هـ.

نقض أصول العقلانيين، سليمان الخراشي، مصر، دار علوم السنة، ط1، (د.ت).

النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، (د.ط)، 1399هـ.

وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد با كريم محمد با عبد الله، (رسالة دكتوراه غير منشورة)، الأردن، دار الراية، ط1، 1415هـ.

الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، بيروت، دار الفكر العربي، (د.ط)، (د.ت).